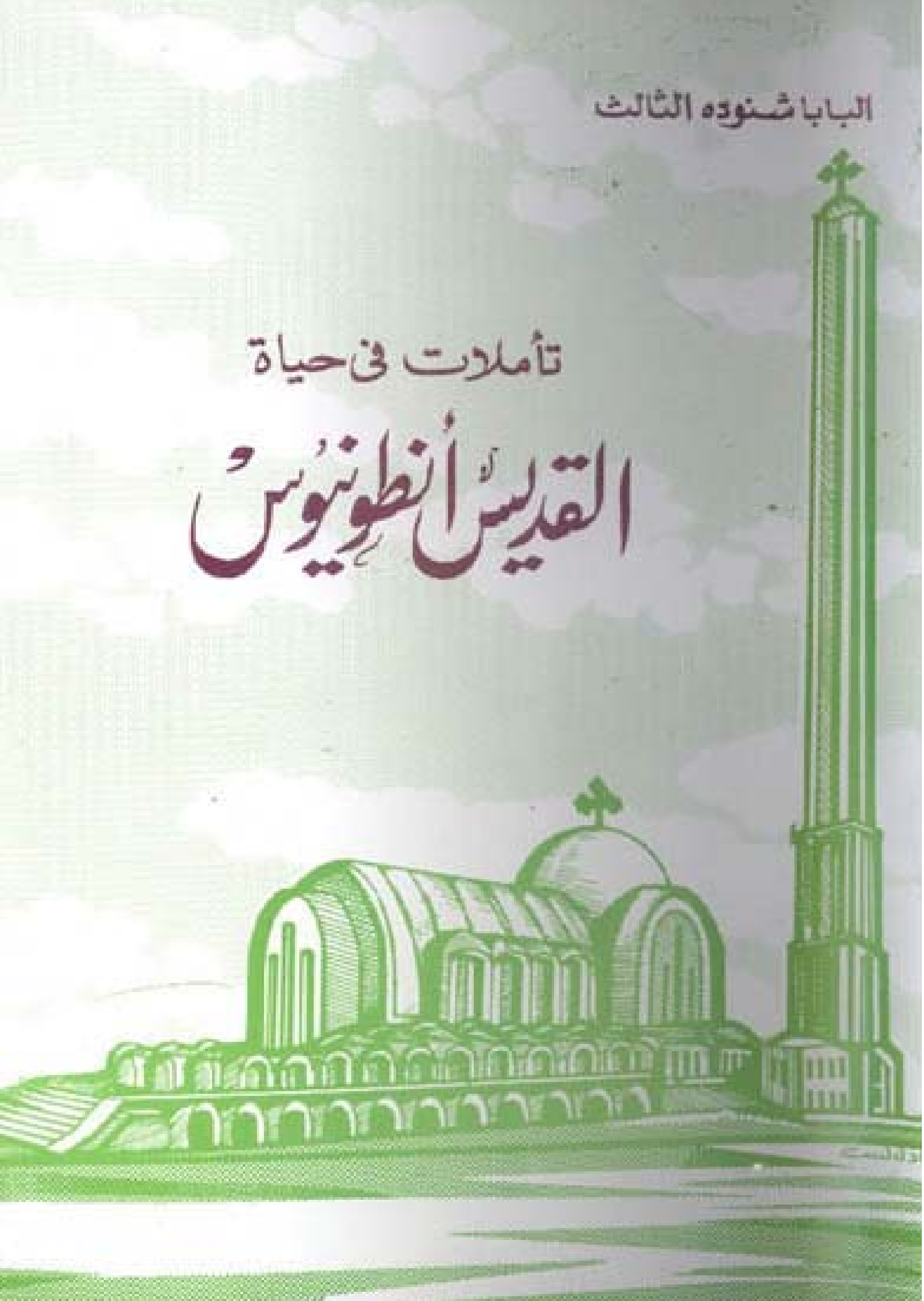
htm




البابا شنوده الثالث
تأملات فى حياة
القديس أنطونيوس



حضرة صاحب القداسة والغبطة

البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية (١١٧)

مقـــدمة

كانت كنيسة الأنبا انطونيوس بشبرا هى الفرع الرئيسى ، الذى أقوم فيه بخدمة التربية الكنسية قبل سيامتى راهباً ••

فلما شاء الله ان أنزل للخدمة، كان من الطبيعى أن أدعى من هذه الكنيسة، لألقى كلمة عن القديس الأنبا أنطونيوس ، في الأسبوع الروحى الذى تقيمه هذه الكنيسة كل عام بمناسبة عيد الأنبا أنطونيوس ، في ٢٢ طوبه (آخر يناير) •

وهـــذا الكتاب ثمرة عـــدة محاضرات ، القيت في كنيسة القديس الأنبا أنطونيوس بشبرا • وكان يحيرنى في كل عام ، اختيار الموضـــوع الذى أقوله ، وقد غطى المتكلمون قبلى جميع النقاط ! واتذكر اننى قلت لشـــعب الكنيسة في أحد أعياد الأنبا أنطونيوس :

ان القديس الأنبـــا أنطونيوس ، له فضائل عديدة • ولعلكم قد سمعتم الكثير عنه في حفلاتنا التى تقـــام في الكنيسة كل عام ••• وفي طريقى في هـــذه الليلة الى ههنا ، كان يجلس معى في العربة الأب الموقر القمص ابراهيم عطية • فقلت له :

لست أدرى عن أى شىء أحدث الناس في هذه الليلة ، فقد سمعوا كثيراً من الأنبا أنطونيوس ، وليس من جديد ؟!

كل عام يسمعون كل شىء عن الأنبا أنطونيوس ، أو يخيل لنا أن كل شىء قد قيل •

فما هو الجديد الذى يمكن أن يقال لهم من الأنبا انطونيوس ؟ لست أعلم•

فأجابنى •• ان المياه يشربها الناس كلهم ، ولا يسأمونها أبداً •

فقلت • ولكن المياه لا يشربها العقل • ان المعدة لا تسأم الشىء المتكرر ، أما العقل فيسامه • لو كان العقل يشرب الماء باستمرار ، لتبرم منه •••

حقاً ، ماذا يمكن أن نقول عن الأنبا أنطونيوس ؟

ولعلنى أكون قد اخترت بعض النقاط لم يتعرض لها المتكلمون •

هذه أقدمها لك أيها القارىء المحبوب ، في هذا الكتاب •

شـــنوده الثالث

في كنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا :

يسرني أن أحضر معكم هــذه الليلة ، لنحتفل بعيد أبينا القديس العظيم الأنبا أنطونيوس •

في الحقيقة انني عندما ادخــل الى هذه الكنيسة ، ينتابنى شــعور مخالف لشعورى في اية كنيسة اخرى •

فربما أذهب الى كنيسة أخرى ، ككاهن ، أو كراع ، أو كاســقف ••• ولكننى عندما آتى الى هــذه الكنيسة ، أتذكر باستمرار أنني ابن وتلميذ ••• فقد تتلمذت في هذا المكان المبارك، وفي هذه الكنيسة المقدسة ، وكل شبر فيها له في قلبى ذكريات مقدسة •

واحببنا جميعا اسم القديس الانبا انطونيوس :

حتى ان كل فصول مداس الأحد التى كنت أقوم بالتدريس فيها في كنائس اخرى ، كانت تحمل اسم الأنبــا أنطونيوس أيضــا •• وعندما دخلت في الحيــاة الرهبانية ، اخترت اسم الراهب أنطونيوس ليكون اسمى في الرهبنة •

وعندما وضعنى الله في هذه المسئولية ، ظللت محتفظا بمحبتى لهذا الاسم المبارك • فاول كاهن قمت برسامته ، كان على اسم أنطونيوس أيضاً ، وهو من أبناء وأساتذة هذه الكنيسة • انه القمص أنطونيوس راغب حالياً •

وتخرج من هذه الكنيسة كثيرون رسموا باسم أنطونيوس :

منهم القمص أنطونيوس يونان بالمنصورة ، والقمص أنطونيوس باقى نيح الله نفسه • والقس أنطونيوس فرج (في لنــدن) • كما قمت بســيامة القس أنطونيوس حنين (في لوس انجلوس)، والقمص أنطونيوس ثابت بالاسكندرية•

وقد اشترينا اربعين فداناً في ضواحي لوس انجلوس بأمريكا ، اقيم عليها دير باسم القديس انطونيوس • وأول كنيسة أسسناها في امريكا في ايامى، كانت على اسم العذراء والقديس أنطونيوس في منطقة كوينز •

ايضاً أول أسقف سيم لنا في أفريقيا ، كان باسم الأنبا أنطونيوس مرقس• وأول كنيســة ودير أســناهما في نيروبى بكينيــا ، باسم مارمرقس والأنبــا أنطونيوس • كما اسسنا كنيسة في استراليا باسم الأنبا أنطونيوس ، وأخرى في المانيا بنفس الاسم • وكنيسة في مصر الجديدة باسم القديس جوارجيوس والأنبا أنطونيوس • وقمنا بسيامة كاهن فرنسى باسم القس أنطونيوس ، وعددا آخر من الآباء الكهنة •••

واصــبح اسم القديس الأنبــا أنطونيوس يمثــل في قلوبنا فكرة ومبدأ وروحانية خاصة ، تهتز له قلوبنا أينما ذهبنا •

كما أصــبح لنا مركز قبطي في فرانكفورت بالمانيــا ، ودير باسم الأنبــا أنطونيوس أيضاً •

الفصل الأول

محبتنا للقديسين واكرامنا لهم

اليوم في عيد الأنبا انطونيوس ، اتامل معكم اكرام كنيستنا للقديسين • في الواقع أن كل أبنـــاء الكنيسة القبطية يحبون القديسين محبة كبيرة ، ربما لا توجد في اية كنيسة اخرى •

انظروا الى أعيـاد القديسة العذراء مثلا ، وأعياد مارجرجس ، وأعيـاد الملاك ميخائيل ، والأنبا أنطونيوس ، والقديسة دميانة ، والأنبا رويس والأنبا بيشوى ، والأنبـا موسى الأسـود ، ومكسيموس ودوماديوس ••• كم ترون من زحام الناس ومحبتهم وتشفعهم بالقديسين ••!

كم من قديسين تركوا العالم ، ولكن العالم لم يتركهم ولا نسيهم •

هم أمامنا في كل حين ، نقابل حياتهم بوفاء عميق • وفاء نحو آباء عاشوا في غير زمننا • ولكنهم ما زالوا في قلوبنا وفي أفكارنا • انها مشـــاعر وفاء ، ومشاعر حب نحو الآباء •

وحب الآباء الروحيين فضيلة راسخة في أبناء كنيستنا سواء الآباء الأحياء، أو الذين انتقلوا منهم ••• نقابلهم جميعـا بكل توقير لأبوتهم ، ولحيـــاتهم ، وذكراهم •

ولا يفهم الآباء خطأ ، ما قد فهمه البعض من عبـارة « لا تدعوا لكم أبا على الأرض » • فهذه العبارة قالها الســـيد المسيح للرسل الاثنى عشر فقط ، لا لعامة الناس ، على أعتبار أن الرسل وخلفاءهم ليس لهم آباء على الأرض • أما بقية الناس فلهم آباء •

يوحنا الرســـول يقول « **يا أولادى** ، أكتب لكم هـذا لكى لا تخطئوا » (١ يو ٢ : ١) • وبولس الرســـول يصف تيموثاوس بانه «**الابن الحبيب** » (٢ تى ١ : ٢) • وتيطس « **الابن الصريح** حسب الايمان » (تى ١ : ٤) • ويقول لفليمون « أطلب اليك لأجـل **ابنى أنسـيموس** الذى ولدته في قيودى » (فل ١٠) • ويقول لأهـل غلاطية « **يا اولادى الذين أتمخض بكم ايضــا** » (غل ٤ : ١٩) • ويقول لأهل كورنثوس «**أنا ولدتكم** في المسيح يسوع بالانجيل» (١كو ٤ : ١٤ــ١٧) • وبطرس الرسول يقول « **مرقس ابنى** » (١بطـ٥:١٣)

الأبوة الروحية موجودة اذن في الكنيسة ونحن نحب آباءنا ·

وهناك رابطة كبيرة بيننا ، وبين الذين في الفردوس ·

رابطة بين أهل العالم الحاضر والآخر · وهذه الرابطة مستمرة · اكرام القديسين دليل على وجودها · فالله ليس اله أموات ·وانما اله أحياء ·

ونحن نشعر أن هؤلاء القديسين ما زالوا أحياء ، وأنهم يعيشون بيننا ، ونتحدث اليهم تماما كما نتحدث الى الأحياء ·

يقف انسان أمام أيقونة العذراء أو مارجرجس او الأنبا أنطونيوس ، ويطلب ، ويتكلم في دالة ، ويعاتب أيضاً ·

نحن لا نشعر اطلاقاً أن القديسين قد فارقوا عالمنا ، أو انتقلوا منه أو انتهوا ···! كلا ، بل نشعر بوجودهم باستمرار · ونذكرهم ليس في أعيادهم فقط ، بل في كثير من صلواتنا ·

القديس الأنبا أنطونيوس مثلا ، لا نذكره فقط في عيده ، انما يذكر في مجمع الآباء في كل قداسات الكنيسة · وليس فقط في القداسات ، انما أيضا في تسبحة نصف الليل كل يوم في الأبصلمودية ، نذكره مع آبائنا جميعاً ···

نحن لا ننسى آباءنا أبداً ، مهما نسى الغير آباءهم وأجدادهم · انها كنيسة تتسم بالوفاء وحب الآباء ·

وفي ذكرنا للقديسين واكرامنا لهم ، انما نعلن ايماننا بالأبدية ، وبان الحياة لا تنتهي بالموت ، انما لها امتداد بعد الموت ··

لولا شعور كل واحد منا ، بأن الأنبا انطونيوس لا يزال حيا ، يشفع فينا ويشعر بنا ، ما كنا نحتفل به الآن ، ونردد له الألحان ···! انحتفل بحفنة تراب ؟ كلا ، بل بحياة · اننا نحتفل بكائن حي ، نثق بأن حياته مستمرة ، في الأبدية · وهذا يعطينا أيضاً ثقة ، بأن حياة ستبقى مثل آبائنا ···

وفي اكرامنا للقديسين ، انما أيضا نكرم الفضيلة ، التي عاشوها ·

الذين يكرمون رجال العلم ، انما يكرمون العلم أيضاً ··· والذين يكرمون الأبطال ، انما يكرمون البطولة فيهم · والذين يكرمون الاذكياء ، انما يكرمون الذكاء ضمنا · كذلك الذين يحبون القديسين ويكرمونهم ، انما يحبون القداسة فيهم ويكرمونها ···

نحن نحب القديسين ، لأن في حياتهم صفات نحبها · والكنيسة في اكرامها للقديسين ، انما تكرم صفات القداسة في أشخاصهم ·

حينما نقرأ كتاباً روحياً ، نطلع على مبادىء وأفكار روحية ·

اما في حياة القديسين ، فنرى المبادىء الروحية ممثلة عمليا ٠

ونثق أن الفضائل ليست اموراً نظرية ، بل هى واقع ملموس ، فنطمئن ونثق أن طريق الكمال ممكن التنفيذ ٠٠

وحياة قديس كالأنبا انطونيوس تعلمنا اشياء كثيرة ٠

تعطينا فكرة كيف أن الانسان يمكنه أن يكتفى بالله ، ومعه لا يحتاج الى آخر ، ولا يعوزه شيء ٠ بحيث يستطيع أن يترك الكل من أجل الرب ، الذى يصير له الكل في الكل ٠

وتعلمنا سيرته أيضا ، كيف يمكن أن الانسان يجلس وحده ، فلا يمل ولا يسأم ولا يضجر ، لأن قلبه مع الله في كل حين ، شبعان بالرب ٠٠٠

تعطينا حياته مثالا عمليا عن الصداقة مع الله ، والعشرة مع الله ، التى تملأ القلب وتملأ الفكر ، وتملأ الحياة ، فيقول مع المزمور « معك لا أريد شيئاً على الأرض » ٠ انها حياة « الانحلال من الكل ، للارتباط بالواحد » أى ينحل من كل أحد ، ومن كل شيء ، لكى يرتبط بواحد هو الله ٠٠٠

وما أكثر الفضائل التى نراها عملياً في حياة هذا القديس ٠

في المعرفة ، في الافراز ، في التواضع ، في الهدوء والسكون ، في الوحدة في محبة الله ، اترى انسان يحوى كل هذا في حياته ؟! لأجل هذا قلت لكم ان القديسين عينات ممتازة من البشر ٠٠٠

ومحبتنا واكرامنا للقديس الأنبا أنطونيوس ، تعنى أيضا محبتنا لحياة الصلاة والتامل والنسك ، التى اتصفت بها حياة الرهبنة ٠

لولا اعجاب الناس بهذه الحياة النسكية والتأملية التى عاشها الأنبا أنطونيوس ما كانوا يبنون الكنائس والمذابح على اسمه ، وما كانوا يرسمون له الايقونات، ويقيمون له الأعياد ٠

واكرامنا للقديسين يعنى أيضا اكرامنا لله نفسه ٠٠٠

لأنه قال : من يكرمكم يكرمنى ٠ ومن يقبلكم يقبلنى ٠٠٠ ولأننا نحب الله ، لذلك نحب أولاده الذين أحبوه ٠٠٠

والكنيسة في اكرامها للقديسين ، وزعت أعيادهم على مدار السنة ٠

في كل يوم من ايماننا ، تحتفل الكنيسة بعيد أحد القديسين ، أو بعض القديسين ، ولا يخلو يوم من تذكار قديس ٠٠٠

ونحن نحتفل بهؤلاء القديسين في أيام انتقالهم من هذا العالم ، في يوم الوفاه أو يوم الاستشهاد ، لأنه اليوم الذى أكمل فيه القديس جهاده على الأرض ••• وكما قال الرسول « انظروا الى نهاية سيرتهم ، فتمثلوا بايمانهم » (عب ١٣ : ٧) •

هؤلاء القديسون الذين نحتفل بهم ، انما هم عينات ممتازة •

ان كل من يحيا حياة الايمان ، يسميه الكتاب قديساً •

يكتب بولس الرسول الى « القديسين الذين في أفسس » (أف ١ : ١) والى « جميع القديسين في المسيح يسوع الذين في فيلبى » (في ١ : ١) ويختم رسالته اليهم بعبارة « يسلم عليكم جميع القديسين » (في ٤ : ٢٢) • ويكتب أيضاً الى « القديسين الذين في كولوسى » (كو ١ : ٢) • ويخاطب العبرانيين بقوله «من ثم أيها الاخوة القديسون ، شركاء الدعوة السماوية» (عب ٣:١)•

لا شك أن كل مؤمن ، نزع الانسان العتيق ، ولبس المسيح في المعمودية (غل ٣ : ٢٧) ، وسكن فيه الروح القدس ، وعاش في طاعة الرب ، وفي ممارسة أسراره المقدسة ، هو قديس •

لكننا هنا لا نتكلم عن القداسة العادية ، انما نقصد العينات الممتازة ، التى ارتفعت روحيا فوق المستوى العادى كالأنبا انطونيوس •

هؤلاء جاهدوا كثيراً لكى يصلوا الى هذه القداسة • وكل جهاد لهم ، انما برهنوا فيه على محبتهم لله ، وعلى أنهم مستعدون لبذل كل جهد من أجل الثبات في الرب •

وهذا لا يمنع من ان البعض ولدتهم امهاتهم قديسين ، او كانوا في بطون امهاتهم قديسين •••

مثال ذلك يوحنا المعمدان الذى قيل عنه « ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس » (لو ١ : ١٥) • والذى أحس بالمسيح في بطن مريم ، فارتكض يوحنا بابتهاج في بطن امه فرحاً بالمسيح (لو ١ : ٤٣) •••

ومثال ذلك أيضاً أرمياء النبى ، الذى قال له الرب « قبلما صورتك في البطن عرفتك • وقبلما خرجت من الرحم قدستك • جعلتك نبياً للشعوب » (أر ١ : ٥) • •

هذه عينات نادرة ، مستوى عال وهبة من الله •

أما الأنبا أنطونيوس ، فهو شاب ولد في أسرة عادية ، غنية ، **ولكنه كافح، وانتصر على عقبات كثيرة ، حتى وصل •••**

الفصل الثانى

القديس الأنبا أنطونيوس جاهد وانتصر

لم يمتلىء بالروح القدس وهو في بطن أمه، كيوحنا المعمدان· ولكنه ولد كشاب عادى ، من أسرة غنية · وكان المنتظر لمثله أن يرث أباه في غناه وسلطته، وأن يتزوج ، ويعيش سعيداً في ظل الغنى والعظمة ، ويكون ناجحاً في حياته وكل الامكانيات متوفرة ·

ولكن الأنبا انطونيوس ، جاهد لا لكى يستفيد من هذه الامكانيات ، وانما لكى ينحل منها جميعا · وكيف كان هذا ؟·

١ — أولا ، نجح في اختبار « ما أعسر أن يدخل غنى الى ملكوت الله » (مت ١٩ : ٢٣) · قال السيد المسيح هذا ، أما الأنبا انطونيوس ، فأجابه : لا تحسبنى يا رب من هؤلاء الأغنياء · اننى حسب وصيتك سأبيع كل مالى واعطيه للفقراء ، واتبعك فقيراً ·

والشاب الغنى انطونيوس دخل الملكوت ، وأدخل الآلاف معه ···

حقا كان يملك المال ، ولكن المال لم يكن يملكه ···

كان هو السيد على ماله ، يصرفه كيفما شاء · ولم يسمح للمال أن يكون سيداً ، يقوده في مسالك أخرى ·

ولأن المال لم يملك قلبه ، استطاع أن يتركه ويوزعه ، ويمضى الى الملكوت بدونه·وحينما كان الشياطين ينثرون الذهب امامه على الرمل ، ما كان يهتم به · كان كالحصى في نظره · وفقد المال قيمته في قلب الأنبا انطونيوس ، لأن قلبه كان منشغلا بما هو أثمن واهم ·

اذن المال في حد ذاته ليس هو الخطورة، انما الخطورة تكمن في محبة المال، والتعلق به والسعى وراءه ، والاتكال عليه ، والافتخار به ·

٢ — وكما انتصر الأنبا انطونيوس على محبة المال ، انتصر ايضا على محبة الجاه والسلطة ، فلم يهتم بان يكون له مركز أبيه ·

٣ – بل انتصر على محبة العالم كله • ونفذ وصية « لا تحبوا العالم ، ولا الأشياء التى في العالم ، لأن العالم يبيد وشهوته معه » •

وصار الأنبا أنطونيوس قلباً نقياً خالصا ، ليس فيه شيء من شهوة المادة والجسد والملاذ الدنيوية المتنوعة •

كان قلباً مات تماماً عن العالم وكل ما فيه •

٤ – وكما انتصر في كل هذه الميادين ، انتصر على محبته لأخته أيضا ، ونجح في تدبير مسئوليته من جهتها ••

كان يمكنه أن يقول : ماذا أفعل ؟ أنا أريد الرب ، ولكن ظروفي العائلية لا تساعدنى . وأنا مسئول عنها •••؟

كان يحب أخته ، ولكن كان يحب الرب أكثر من أخته ، لذلك أمكنه أن ينتصر • وأودع أخته في أحد بيوت العذارى ، وشق طريقه نحو الله ، منتصراً على هذه العقبة •

٥ – وفي أول جهاده ، حاربه الشياطين بشكوك عديدة ، فانتصر عليها •

شكوك من جهة صحة الطريق ذاته ، وامكان استخدام المال في أعمال الخير تحت ادارته وتصرفه ••• وهكذا يوقعونه في التردد، ويحولونه من حياة الصلاة والتأمل ،الى حياة الخدمة •••

شكوك أخرى من جهة أخته ومدى اطمئنانه عليها •

شكوك ثالثة من جهة نجاحه في هذا الطريق ، وقدرته على الاستمرار فيه ••• وشكوك عديدة أخرى لا حصر لها •

ولكن قلبه كان راسخاً ، لم يتزعزع اطلاقاً أمام الشكوك •

٦ – صادفت الأنبا أنطونيوس عقبة أخرى هى الارشاد، فانتصر عليها :

عاش وحيداً ، بلا مرشد ، بلا أب اعتراف ،بلا كنيسة ، بلا معونة من احد • ولكنه انتصر على هذا كله أيضاً •••

أخذ أولا من النساك الذين على حافة القرية • ولما دخل الى الجبل ، بدأ يأخذ من الله مباشرة • وأعطانا درساً أنه حيثما لا توجد معونات بشرية ، فان المعونة الالهية لا تتخلى •

ومنح الله لهذا القديس افرازاً وفهماً روحياً وحكمة لم تكن للذين تمتعوا بارشاد من البشر •

٧ – ثم دخل الأنبا انطونيوس في حرب أخرى وانتصر فيها، وهى حرب الرعب والخوف ، في البرية القفرة المنعزلة ...

لما وجد الشياطين أن المال والعظمة لا تهمه ، وأن الأفكار والشكوك لا تزعزعه ، وأن الشهوات لا تغلبه بدأوا معه حرباً عنيفة لاخافته . فكانوا يظهرون له في هيئة وحوش كثيرة ، لها أصوات مخيفة عالية ، تهجم عليه بقصد افتراسه . ولكن قلبه ما كان يخاف ...

بل انتصر على هذه المخاوف بوسائل ثلاث : الاتضاع ، والفهم ، والصلاة:

بالاتضاع كان يقول لهم : « أيها الأقوياء، ماذا تريدون منى أنا الضعيف أنا أضعف من ان أقاتل أصغركم » . وكان يصلى قائلا : « انقذنى يا رب من هؤلاء الذين يظنون أننى شيء ، وأنا تراب ورماد » . فلما كانوا يسمعون هذه الصلاة المملوءة اتضاعاً ، كانوا ينقشعون كالدخان .

ومن جهة الفهم ، كان يقول : اننى أعجب لتجمهركم على بهذه الكثرة . ولو كنتم أقوياء حقاً . لكان واحد منكم يكفى . وهكذا بالايمان أيقن من ضعف الشياطين ، وكان هذا الايمان يخزيهم فيمشون ...

وقد استعملوا معه طرق الايذاء والضرب ، وبخاصة حينما كان ساكنا في مقبرة ، ولكنه صمد ، وكان يصلى مزمور « الرب نورى وخلاصى ، ممن أخاف . الرب عاضد حياتى ، ممن ارتعب ؟! ان يحاربنى جيش فلن يخاف قلبى . وان قام على قتال ، ففى هذا أنا مطمئن »

وكان في ايمان عميق يقول لمهاجميه « ان كان الله قد أعطاكم سلطاناً على ،فمن أنا حتى أقاوم الله ؟! وان كان الله لم يعطكم سلطاناً على ، فلن يستطيع واحد منكم أن يؤذينى .

وهكذا عاش الأنبا انطونيوس في حياة الايمان ، لا يخاف .

وفي كل مرة ينتصر ، كان يزداد ايمانه ، وينتزع منه الخوف بالأكثر ، الى أن زال منه الخوف تماماً . وقال أيضاً « أنا لا أخاف الله ، لأنى أحبه » .

هذا هو رجل الجبال ، جبار البرية الذى لا يخاف ، حتى من الوحوش المفترسة ، وحتى من الشياطين .

وبخبرته الروحية ، استطاع فيما بعد أن يجمع تلاميذه ، ويلقى عليهم كلمة عميقة عن ضعف الشياطين وعدم الخوف منهم . وقد سجل لنا القديس أثناسيوس الرسولى هذه الكلمة في كتابه عن حياة الأنبا انطونيوس .

وفي انتصار الأنبا أنطونيوس وعدم خوفه ، ظل محتفظا بتواضعه ·

يشعر بضعفه ، يصرخ الى الله ، فينقذه الله بقوته الالهية ·

قال الأنبا أنطونيوس : في احدى المرات ابصرت فخاخ الشيطان مبسوطة على الأرض كلها · فقلت « يا رب ، من يفلت منها ؟ » فاجابني الصوت قائلا « المتواضعون يفلتون منها » ·

٨ – ولعل من مظاهر التواضع العملى في حياة الأنبا أنطونيوس، **وعدم التشبث بفكره ، انما يخضع لفكر الآخرين أحيانا ·**

ولا شك أن في هذا انتصار من الانسان على نفسه ···

وسنضرب لهذا الأمر في حياة قديسنا عدة أمثلة :

أ ــ انه اقتنع بحياة الوحدة ومارسها ، وعاش ٣٠ سنة مغلقاً على نفسه لا يرى وجه الانسان ··· وأخيراً ازدحم النـاس على بابه ، مصرين أن يفتح لهم ، وأن يصير لهم مرشداً · وكان ممكناً لهذا القديس أن يهرب من هؤلاء ، حتى لو فتح لهم ، وأن يتمسك بحياة الوحدة الكاملة التى أرادها لنفسه · ولكنه خضع لهم · وتحول من متوحـد بالمعنى الكامل الى متوحد ومعلم للوحـدة · واضطر ايضاً أن يفتح بابه لكثير من الزائرين · وغير شيئاً من أسلوب حياته· لأجل الناس · وقبل الوضع الذى اراده له ، وتنازل عما أراده لنفسه ·

ب ــ في اعتقاده أن الرهبنة موت عن العالم ، وبعد عن العالم ، وحياة وحدة في البرية · ولكن لما طلب اليه الآباء الأسـاقفة أن ينزل ليعلن رأيه في الأريوسية ، خضع لهم ، ونزل الى الاسكندرية ، وسط جماهير الشعب ، وقضى هناك ثلاثة أيام ، أكمل فيها الرسالة المطلوبة منه ، ثم عاد ملتمساً ديره ···

كان من النوع المطيع (المهـاود) ، على الرغم من أنه في نزوله وقتذاك كان في حوالى المائة من عمره ···

حـ ــ ونزل قبـل ذلك أيام الاستشهاد ، وكان يذهب الى حيث محاكمة الشهداء وتعذيبهم ، ويشجعهم ويقويم ·

في تواضعه ، انتصر على التطرف ، وعلى التحجر والجمود عند فكر معين · اعطاه التواضع مرونة وسهولة في التعامل ···

٩ – **وانتصـاره على التطرف ، جعله متعدلا في حيـاته ، يسير بافراز وحكمة ، سواء مع الناس ، أو مع نفسه أيضا ·**

أ ــ قال عنه القديس الأنبا أثناسيوس ، انه لما خرج من وحدته وحبسه لمقابلة الناس ، ما كان نحيفاً جداً بسبب النسك ، ولا كان بدينا مترهلا بسبب

قلة الحركة في حبسه • انما كان معتدلا في قامته ، لأنه كان يسلك في وحدته باعتدال وعدم تطرف •

ب ـ وظل الافراز من أولى الفضائل التي يحبها ، حتى أنهم حينما سألوه عن أهم الفضائل ، قال لهم الافراز ، أى الفهم والتمييز والحكمة في التصرف •• وقال ان هناك من صاموا وصلوا وسكنوا البرية ، وهلكوا ، لأنهم تصرفوا بغير افراز •

أما هذا القديس فقد كان يسلك بفهم واتزان وحكمة وتمييز ، بعكس الرهبان الذين يتطرفون في أى قانون من قوانين الرهبنة ، حتى يخرجهم تطرفهم ليس فقط عن مبادىء الحياة الرهبانية ، انما أيضا عن مبادىء السلوك الروحى عموماً •••

ح ـ وفي انتصاره على التطرف ، انتصر على التزمت أيضا :

ولذلك كان بشوشا باستمرار ، وجهه يفيض بالسلام على الآخرين ، فاشتهى تلاميذه مجرد النظر الى وجهه • وكان كل من ينظر الى وجهه يمتلىء بالسلام •

وهكذا انتصر القديس أنطونيوس على حرب الكآبة التي يقع فيها رهبان كثيرون ، ولا يوجدون أمامهم في الكتاب المقدس سوى عبارة « بكآبة الوجه يصلح القلب » ناسين الآيات التي تقول « افرحوا في الرب كل حين » « فرحين في الرجاء » ••• فحياتهم في الرهبنة كلها عبوسة ••!

أما الأنبا أنطونيوس ، فلم يكن هكذا • كان بشوشا ولطيفا • ومع ذلك فيه كل فضائل الرهبنة • يحيا في وحدة وفي صمت • واذا التقى بالناس ، يلتقى بهم في سلام وحب ، يعطى فكرة عن المتدين السعيد بتدينه ، الذى تنظر الى وجهه فتتعلم الهدوء والسلام والبشاشة والطمأنينة واللطف •

كان صاحب وجه مريح •••

الفصل الثالث

القديس أنطونيوس

كاب لفكرة وطريق
واب لمنهج روحي جديد

St. Antony As A Pioneer

القديس الأنبا أنطونيوس له فضائل وميزات عديدة ، لعلكم سمعتموها من قبل • لذلك اتحير في كل سنة ، من أى شيء اخاطبكم • ولكن لعل من الأشياء التى نذكرها في مقدمة ميزات هذا الانسان البار ، انه أحد الأوائل •

اقصد انه واحد من الذين شقوا طريقا جديدا ، طريقا صعبا وجميلا ، لم يسبقه اليه أحد من قبل •

رهبان كثيرون ملأوا الدنيا ، آلاف وملايين • لكن أول راهب في العالم ، له مكانته ، لأنه أول من سار في الطريق، واول من وضع نظامه واسلوب حياته ، واول من شرحه للناس وعرفهم به •

تماما كما نقول مثــــلا ان كثيرين كتبوا من لاهوت المسيح • لكننا نذكر القديس أثناسيوس الرسولى كاول لاهوتى كبير ، الف، ورد على الأريوسية في هذا المجال •••

وكثيرون كرزوا باسم المسيح في أرض مصر • لكننـــا نذكر اسم القديس مار مرقس ، لأنه أول من كرز فيها ، ولم يسبقه في ذلك أحد من قبل •

ان الأوائل الذين بدأوا الطريق ، لهم مكانتهم •

كلنا ، ان مرنا في طريق الرهبنة، انما نتبع آثار أقدام القديسين الأوائل، وكما ساروا نسير • أما القديس الأنبا أنطونيوس، فحينما شق طريقه في الرهبنة لم تكن هناك أقدام سبقته في هذا المجال من قبل •

انه أب لطريق ، بل أب لأصعب طريق ، طريق الموت عن العالم ، طريق التجرد الكامل من كل شيء •

وقد سار في هذا الطريق وحده ، لما بدأ •••

عظمة الانبا انطونيوس ، انه لم يوجد احد يقوده ويرشده في الرهبنة ، بل هو الذى قاد وارشد الكل •

كل من يترهب حاليا ، آباء ومرشدين ، يشرحون له كيف يبدأ ، وكيف يتدرج وينمو • ويحكون له أسرار الحياة الرهبانية وأعماقها وطقسها ، ويظهرون له حروب وحيل الشياطين ، وكيفية الانتصار عليها ••• ويمسكون بيد هذا المبتدىء ، ويقودونه خطوة خطوة ، حتى يصل •••

أما الأنبا أنطونيوس فلم يجد له مرشداً ، وسار وحيداً •

يقول الكتاب « اثنان خير من واحد لأنه ان وقع أحدهما ، يقيمه رفيقه • وويل لمن هو وحده ان وقع ، اذ ليس ثان ليقيمه » (جا ٤ : ٩ ، ١٠) •

وكان الانبا انطونيوس وحده ، لكنه لم يقع •••

سار وحده في طريق الرهبنة ، بلا أب ، بلا مرشد ، بلا زملاء في الطريق، بلا تعزية من أى انسان • بل أيضاً بدون الوسائط الروحية المتاحة للجميع ، بلا كنيسة ••• بلا شيء يسنده في الغربة والقفر والوحدة والحروب ••• سوى ايمانه بأن الله معه •

ومع ذلك لم يستصعب الطريق ، بل سار وحده ، ومعه الله •

لهذا نحن نكرم الأنبا أنطونيوس ••• وكل الذين يترهبون الآن ، مهما ارتفعوا ، لا يمكن أن يصلوا الى درجة هذا القديس • فعلى الأقل الدفعة أتتهم من الخارج • هناك من تابعوهم في حياتهم الروحية والنسكية ، حتى وصلوا •••

لكن الانبا انطونيوس ، أتته الدفعة الأولى من داخله •

ولما دخل الى الرهبنة في أيامه ، دخل الى المجهول •••

سار في طريق لا يعرف معالمه ، ولا يعرف حروبه •

حاليا توجد كتب للرهبنة • يوجد بستان الرهبان ، والعديد من الكتب النسكية ، كتبها كبار الآباء عن الحياة الرهبانية ، وتوجد أيضا سير الآباء المتوحدين والسواح • والذى لا يجد مرشداً ، يمكنه أن يتعلم من الكتب •••

أما في وقت رهبنة الأنبا أنطونيوس ، فلم تكن هناك كتب •

ان سيرة هذا القديس ترد على الذين يبررون أنفسهم فيسقطاتهم، معتذرين بأنهم لم يجدوا أب اعتراف ، ولا مرشد روحي ، ولا قدوات صالحة أمامهم، لذلك سقطوا ! هوذا الأنبا أنطونيوس لم يجد شيئا من هذا كله ، ومع ذلك سار في طريق الكمال بلا عثرة • وكان الرب يرشده •

انه لم يكن ابا للرهبان فقط ، انما ابا للرهبنة ذاتها •

هو الذى وضع اسسها وروحها ، وقدم للعالم صورته •

وان اردنا ان نفهم ما هى الرهبنة في اصـــولها ، انما نرجع في ذلك الى الأنبا انطونيوس •••

لذلك كانت حياته ذات تاثير عجيب ، اينما عرفت ••

كانت سيرته مسكا ، لأنها كانت شيئا جديداً على العالم •••

كانت حياته جديدة لم يعرفها العالم من قبل ••

لقد اعطى العالم صورة جديدة عن طقس في الحياة لم يكن مالوفا من قبل• فكان الناس ياتون من اقاصى الأرض ، لكى يروا هذه الحيـاة الجديدة ، وهـذا الانســان العجيب ، الذى يسكن الجبـال والمغاير والبرية القفرة ، وتمر عليه ثلاثون سنة لا يرى فيها وجه انســان ، ومع ذلك فهو سـعيد في وحدته وعزلته ونسكه •••

كان اعجوبة في عصره • مجرد النظر اليه كان يفرح القلب ••

كما قال له احـــد تلاميذه « يكفينى مجرد النظر الى وجهك يا أبى » • وكثيرون احبوا الرهبنة لمجرد النظر الى وجهه ، واشتهوا أن يحيوا نفس حياته التى اعجبوا بها •••

لقد كانت حياته ، في صمت ، عظة جذبت اليه الكثيرين •

كانت حياة جديدة • ولم تكن هروبا من العالم ••

الأنبا انطونيوس ، كان شابا غنيا ، وكان العـــالم منفتحاً أمامه • كان يملك ثلاثمائة فدان من أجود الأطيان في الصعيد، وكان أبوه ذا مركز وسلطان، ويستطيع أن يرث اباه في المركز والكرامة • ان الدنيا لم تضق في وجهه ليهرب منها • فلماذا اذن تركها ؟•

انه لم يهرب من العالم ، بل ارتفع فوق مستوى العالم وكان هذا هو سر عظمته ، وسر اعجاب الناس به ••

لقد ارتفع فوق مستوى الأطيان ، وفوق مستوى الغنى ، وفوق مسـتوى السلطة ، بل فوق مستوى العـــالم كله ، بكل شهواته • وشعر أن العـــالم كله ليست له قيمة •••

واعطى للناس درساً عمليا في تفاهة العالم ، كما اعطاهم درساً مقابلا في اهتمام الانسان بأبديته ، قبل كل شىء •

وفيما كان الناس يتنافسون على ملاذ العالم وعظمته، وجدوا انسانا يرتفع فوق هذا المستوى كله ، وينظر الى شهواتهم كتفاهات ، ويحمل عصاه في يده ، ويضرب بقدمه في البرية، خارجاً من العالم بارادته ، واهباً كل أمواله للفقراء، لكي يحيا حياة الفقر الاختيارى ••• مع الله •

وكان هذا شيئاً جديداً على الناس •

وكان جديداً عليهم ايضا ان يسكن في مقبرة •••

ومهما ضربته الشياطين فيها ، وأخافته بكل طرق الرعب ، يظل باقيا متحديا قوة الشياطين ، قائلا لهم « ••• وان كان الله لم يعطكم سلطانا على ، فلن يستطيع أحد منكم آن يؤذينى » •••

انسان يظهر له الشياطين بهيئة أسود وفهود ونمور ، وبأصوات مفزعة ، يحاربونه لكيما يخاف ويرجع • ولكنه يصمد •

انه فوق مستواهم ، وفوق مستوى مقدرتهم وسلطانهم •••

لقد ارتفع فوق مستوى الخوف ، لا في المقبرة ، ولا في الوحدة • لم يخف الشياطين ، فخافت منه الشياطين •••

وكان هذا شيئا جديداً على الناس ، أذهلهم واستهواهم •

من هذا الذى يعيش في أعماق الجبل وحده ، حيث الوحوش والحيات ودبيب الأرض ، وحيث العزلة المخيفة ، والوحدة المملة ، وحيث حروب الشياطين ؟! ومع ذلك فهو لا يخاف ، ولا يمل ، بل يحيا سعيداً ، مفضلا هذه الحياة على كل ملاذ العالم ••!

رجل له قلب من حديد • دخل البرية ليس فقط بالنسك والزهد والصلاة، انما أيضا بشجاعة عجيبة •

انه نوعية جديدة من الناس ، لم يرها البشر من قبل •

أغلق على نفسه في مغارة ثلاثين سنة ، لا يستقبل أحداً • وكان الناس يقرعون على بابه ، ويتركون له بعض الحبوب والبذور ، ويمضون لشأنهم ••• وأخيراً لم يحتمل الناس البعد عنه • كان وراء هذا المجهول شيء يستهويهم •

كان وراء بابه المغلق شيء يجذبهم •••

فظلوا يقرعون بابه • ولما لم يفتح لهم ، كسروا الباب ودخلوا ، وقالوا له : نريد أن نعيش معك ، ونحيا الحياة التى تحياها ، بأية طريقة ، نبقى معك تحت ظل صلواتك •

استهوتهم هذه الحياة المرتفعة عن مستوى العالم •

واستهواهم هذا القلب ، الذى يحيا وحده ، مكتفيا بالله •••
هذا القلب ، الذى لا يحتاج الى عزاء الناس ، لأن عزاء الله يكفيه •••
والذى لا يحتاج الى أحاديث النـــاس ، لأن الحديث مع الله يشبعه • **استهوتهم** حياته كلها ، فبقوا معه •••

ومذه هي عظمة الأنبا أنطونيوس • لم يكن سرها ارتفاعه في فضائل معينة كأن يطوى بعض الأيام صوما كالقديس الأنبا بيشوى مثلا ، أو يدخل في تدريب صلب العقل كالقديس مقاريوس الاسكندرى ، كلا بل كان لعظمته سبب آخر :

سر عظمته ، أنه اكتشف طريقا ، ما كان النـــاس يعرفونه قبلا • واحب الناس هذا الطريق ، واحبوا الأنبا انطونيوس معه •

كانت للأنبا أنطونيوس فضائل كثيرة • فكان مشهوراً باتضاعه ، وبصلاته، ومعرفته وافرازه وزهده • ولكن ما أكثر من اتصفوا بهذه الصفات • أما الذى ينفرد به هذا القديس عن الجميع ، فهو قيادته لطريق الرهبنة الروحي •

في فترة حديثة ، كان البعض يتشاجرون ويصيحون قائلين :
« لا بد أن يكون البطريرك من الرهبان •••! »
أما في أيام الأنبا انطونيوس ، فلم يكن البطاركة من الرهبان •

كانت الرهبنة طقساً روحياً ، أعلى من عمل الرعاية ، حقا لم تكن أعظم من الكهنوت ورئاسته ، انما كانت حياة أجمل ، هي الأقرب الى حياة الملائكة •• من من الآباء كان يقبل أن يترك جمال الرهبنة ويصير بطريركا ؟!

عاش الأنبا أنطونيوس ١٠٥ سنة ، وعاصر بطاركة عديدين • ولم يصر من الآباء البطاركة، بل شماس من تلاميذه ، هو الأنبا أثناسيوس صار بطريركا• وبقي الأنبا أنطونيوس في حياته الروحية الحلوة ، بكل عمقها ، وكل ارتفاعها•

ســــاعة واحدة يقضيها مع الله ، يمكن ان تنفع الكنيسة اكثر من جهاد سنوات وشهور في عمل الرعاية ••

لما انتشرت البدعة الأريوسية ، وصار خطراً على الكنيسة ، وظل القديس أثناسيوس يقاومها بالآيات والتفســـير ، وبالجدال اللاهوتى والحوار المنطقى ، أرسل الآباء الأساقفة الى القديس الأنبا أنطونيوس ، لكى ينزل الى لاسكندرية • لا للجدل اللاهوتى ، فما كان رجل جدال ، انما من أجــل تأثير روح الله الذى فيه • فنزل القديس ، وكان عمره حوالى المائة عاماً ، وقضى في الاسكندرية ثلاثة أيام كان لها تأثير عجيب عميق في الناس •

يكفى أن يسمعوا من فمه الطاهر أن الابن مساو للآب في الجوهر ...
كلمة يقولها بلا جدال ، تسندها حياته المملوءة قدساً المحبوبة من جميع الناس ، تذكرنا بقول قائد المائة للرب « قل كلمة فقط ، فيبرأ غلامى » . وكان الناس ينتظرون من الأنبا أنطونيوس أن يقول كلمة فقط . فقال وأحدثت الكلمة تأثيرها .

القديس الذى كان مرعبا للشياطين ، اما كان مرعبا للهراطقة ؟!

وبعد ذلك تقول سيرة القديس، انه عاد الى ديره ، كغريب يلتمس وطنه. حقاً ، كان العالم غريبا عليه ... غريباً على رجل الجبال والبرارى والوحدة.. وأبى الرهبنة الأصلية .

وصدقونى ان كلمة (رهبنة) ترجمة غير سليمة لحياة الوحدة .

ان كانت مأخوذة من عبارة : يرهب الله أى يخافه ، فالقديس الأنبا أنطونيوس نفسه قال لأولاده « أنا لا أخاف الله . ذلك لأنى احبه ، والمحبة تطرح الخوف الى خارج » (١ يو ٤ : ١٨) . فبماذا نسمي الرهبنة التى قادها الأنبا أنطونيوس ؟.

الرهبنة هى حياة الملائكة الأرضيين أو البشر السمائيين .

الرهبان بشر يحيون حياة الملائكة ، وهم على الأرض . وقد كان القديس الأنبا أنطونيوس هو أول الملائكة الأرضيين .

لى يا اخوتى مقر في دير الأنبا بيشوى ، اقضى فيه نصف أو ثلث كل أسبوع . وفي أعلى هذا المقر ، لى كنيسة خاصة أسميتها « كنيسة الملاك ميخائيل والأنبا أنطونيوس » ، على اعتبار أن الملاك ميخائيل هو رئيس الملائكة السمائيين، والأنبا أنطونيوس هو رئيس الملائكة الأرضيين .

غير أن الأنبا أنطونيوس يتميز على الملاك ميخائيل بميزتين :

● الأولى أن الملاك ميخائيل ، خلقه الله هكذا ، ملاكاً ..

أما الأنبا أنطونيوس . فقد ولدته أمه انسانا ، ولكنه تحول بسيرته الطاهرة الى ملاك ، وأصبح في مقدمة الملائكة الأرضيين .

● والميزة الثانية أن الأنبا أنطونيوس ولد على الأرض ، واستطاع أن يحول الأرض الى سماء ، والرهبان الى كواكب ، فسموه « كوكب البرية» وسموا تلاميذه كواكب البرية » ...

لقد اكتشف الأنبا أنطونيوس أن الدنيا لا تساوى شيئا • وهذا الاكتشاف عرفه قبله اثنان ، وبقيا يعملان في الدنيا •

أولهما سليمان الحكيم، الذى قال ان الكل باطل وقبض الريح ، ولا منفعة تحت الشمس (جا ٢ : ١١) • ومع ذلك بقى سليمان حياته كلها يعيش وسط هذا الباطل •

والرجل الثانى هو القديس بولس الرسول ، الذى قال « خسرت كل الأشياء ، وأنا أحسبها نفاية ، لكى أربح المسيح » (في ٣ : ٨) • ومع أنه عرف أنها نفاية ، بقى في الدنيا من أجلنا ، يخدم ، لأنه أوتمن على وكالة • وهكذا عاش في الدنيا ، ولم يعش في نفايتها •

سليمان بقى في العالم كملك ، وبولس بقى كرسول •
أما الأنبا أنطونيوس ، فلم يبق في العالم ، ولو للخدمة •

ارتفع فوق مستوى الخدمة الأرضية التى كانت لسليمان ، وفوق مستوى الخدمة الرعوية التى كانت لبولس • وعاش في الخدمة الملائكية التى كانت لطقس السارافيم •

وقدم لنا هذه الحياة نموذجا لطقس الملائكة الأرضيين •

كل راهب في الدنيا يعتبر نفسه ابناً للقديس الأنبا أنطونيوس ، ليس الأقباط فقط ، انما الكاثوليك أيضاً ، وكل الأرثوذكس شرقيين وغربيين ، وكل محبى الوحدة في العالم ••• الكل يشتركون معا في محبته ، وفي اكرامه ، وفي البنوة له •

لقد قدم للعالم كله حياة التأمل والصلاة ، حياة الوحدة والسكون ، حياة الزهد والتفرغ الكامل لله •••

قدم لنا حياة جديدة ، لا تستمد عظمتها من الخارج •

لا تستمد عظمتها من الألقاب ، ولا من الجاه والسلطان، ولا من الوظائف، ولا من الكهنوت ، ولا من الرعاية ، ولا من العلم والجدل والمعرفة • انما تستمد عمقها من الداخل ، من الصلة الدائمة بالله ، في حياة الروح •

هـذا هو المنهج الجديد الذى قدمه لنا الأنبـا أنطونيوس • ونحن نكرمه كأب لهذا المنهج ، ونقول :

مبارك هو الرب الذى منحنا الأنبا انطونيوس •

وفتح لنا به بابا للسمائيات ، وقدس اقداس وسط الجبال •••

وقدس لنا رمال البرية ، وتلالها ، ومغائرها • وصارت مغارة الأنبا أنطونيوس مزاراً يتبارك به الناس من كل أنحاء العالم ، ليروا مكاناً حل الله فيه ، مرافقاً للأنبا أنطونيوس ومباركاً له •

ونشكر الله لأن الأنبا انطونيوس قبل أن يقود الرهبنة • ولم يصر ان يحيا وحده كالأنبا بولا ، في عزلة كاملة عن العالم ، يقضى حياته كلها لا يرى وجه انسان •••

مبارك هو اليوم ، الذى قبل فيه الأنبا أنطونيوس ، أن يرشد آخرين ، ويعلمهم هذا الطريق الملائكى الذى اختبره •



دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس

الأنبا أنطونيوس كمعلم وكطالب علم

الأنبا أنطونيوس المعلم ...

كثيرون ترهبوا . وكثيرون كانوا قديسين ، وسواحا ، ومتوحدين ، ولم ينالوا شهرة الأنبا أنطونيوس .

الأنبا بولا السائح مثلا ، ترهب قبل الأنبا أنطونيوس . وفي لقاء هذين القديسين ، كان الأنبا بولا يخاطب الأنبا أنطونيوس بعبارة يا ابنى ، فيرد عليه بعبارة يا أبى . كان الأنبا بولا أكبر منه سنا ، وأقدم منه في هذه السيرة الملائكية . ولكنه لم ينل نفس الشهرة ، لأنه لم يكن مثل الأنبا أنطونيوس أبا لرهبان كثيرين . ولم يكن مثله أبا لمدرسة من المدارس ...

كان الأنبا أنطونيوس أبا لرهبنة . كان أبا لمدرسة رهبانية ، لأول مدرسة رهبانية . وكان أبا لفكرة معينة انتشرت في كل مكان ...

انه لم يتزوج ، ولم ينجب ابنا . لكن له مئات الآلاف من الأبناء . له ابناء في كل بلد من بلاد العالم . كل رهبان العالم أولاد الأنبا أنطونيوس .

انظروا كم قرنا مرت على العالم منذ رهبنة الأنبا أنطونيوس (١٧ قرنا) وكم راهبا ترهب في كل بلاد العالم ، طوال تلك القرون ... هؤلاء جميعا هم أبناء الأنبا أنطونيوس .

عندما يدخل الأنبا أنطونيوس الى الملكوت ، ويقول لله « هأنذا والأولاد الذين أعطانيهم الرب » ١ ، يدخل وراءه من أولاده ألوف ألوف ، وربوات ربوات ... لأنه أب لمدرسة .

تتلمذ عليه تقريبا كل قادة الرهبنة في مصر :

فمثلا كان من تلاميذه الأنبا آمون أبو جبل نتريا ، أبو منطقة القلالى . وقد رأى الأنبا أنطونيوس روح الأنبا آمون وهى صاعدة الى السماء ، تزفها الملائكة في فرح ...

---

(١) اش ٨ : ١٨

وكان من تلاميذه أيضا ، القديس الأنبـا مكاريوس الكبير ، أتى وتتلمذ عليه وألبسه الأنبا أنطونيوس اسكيم الرهبنة • واشتغل معه ، وشهد له بقوله « ان قوة عظيمة تخرج من هاتين اليدين » •••

وتتلمذ عليه الأنبا شيشوى ، أو الأنبا سيصوى من آباء الجبل الشرقى ، هو وتلاميذه • وتتلمذ عليه القديس الأنبا بولس البسيط، والأنبا بيساريون ، والأنبا سرابيون •

وتتلمذ عليه القديس الأنبا ببنوده رئيس أديرة الفيوم • وقد كتب اليه القديس الأنبا أنطونيوس رسالته العشرين •

وتتلمذ عليه القديس الأنبا ايلاريون الذى نشر الرهبنة في سـوريا وفي فلسطين •

وعندما كان يأتى الى الأنبا انطونيوس أحد من تلك المناطق يطلب ارشاده، كان يقول لهم في اتضاع « لماذا تأتون الى ، وعندكم الأنبا ايلاريون ؟•

وتتلمذ عليه شيوخ عديدون انتشروا في الأرض كلها •••

ونشروا الرهبنة في كل مكان ••• وأصبح الأنبا أنطونيوس أبا لفكرة ، ولمدرسة ، ولطريق حياة ، أبا لمنهج روحى له فروعه في كل مكان •••

وأطال الله عمر الأنبا أنطونيوس •••

ولد سنة ٢٥١ م ، ورقد في الرب سنة ٣٥٦ م • وله من العمر ١٠٥ سنة شيخاً كبيراً في الأيام •••

العجيب أن الأنبا أنطونيوس ، لم يتتلمذ عليه رهبان فقط •••
انما تتلمذ عليه أيضا البابا البطريرك •••

كان القديس الأنبـا أثناسيوس الرسـولى البابا العشرون من تلاميذه • درس عليه الروحيات • تلقى عنه أيضاً كثيراً من أفكاره اللاهوتية •••

ان بعض العلماء ، حينما يدرسـون فكرة أثناسـيوس اللاهوتية ، انما يرجعون كثيراً من أفكاره اللاهوتية الى القديس انطونيوس الكبير •

حقاً ان هذا لعجيب •••

والقديس أنطونيوس تتلمذ عليه كثيرون لم يروا وجهه أبداً •••

لقـد تتلمذوا على حيـاته ، على سـيرته التى نشرها في الغرب القديس أثناسيوس الرسولى في كتابه (حياة أنطونيوس) • وهذا الكتاب كان سـبباً في انتشار الرهبنة في روما وفي بلاد الغرب • فترهب كثيرون هناك وأتى العديد منهم الى مصر ، لمجرد أنهم تنسموا حياة القديس الأنبا أنطونيوس •

وكان لهذا الكتاب تأثيرة في هداية أوغسطينوس ...

لقد تأثر أوغسطينوس تأثراً عميقاً بسيرة القديس أنطونيوس ، فتاب ، وترك حياة الفجور ، بل صار راهباً وقديساً ... ومصدراً من مصادر الحياة التأملية في العالم ... بفضل سيرة الأنبا أنطونيوس .

والقديس الأنبا أثناسيوس الرسولى ، كاتب هذه السيرة ، حينما كان يذهب الى أى مكان من بلاد أوروبا ، كانوا يسألونه عن أنطونيوس ، وعن أخبار الرهبنة في مصر ، وعن الرائحة الزكية التى تفوح من البرية ... وهكذا كان للأنبا أنطونيوس تأثير في أمكنة عديدة جداً لا توضع تحت حصر .

وكثيرون كانوا يأتون من بلاد الشرق والغرب ، لكى يتتلمذوا على القديس الأنبا أنطونيوس في التدبير الرهبانى .

وكان بعض الفلاسفة يأتون اليه ، ويسألونه ، ويحاورونه ، ويندهشون كثيراً من علمه ومن ذكائه ...

لدرجة أنهم قالوا له في احدى المرات « أنت لا تملك الكتب ، ولا تقرأ الكتب ، فمن أين لك هذه المعرفة وهذا الفهم العجيب ؟» ...

فأجابهم بسؤال عجيب : أيهما أسبق : العقل أم المعرفة ؟ فلما قالوا له « العقل طبعاً أسبق » ، أجابهم « اذن المعرفة يمكن أن يلدها العقل ، بدون كتب .. » !.

وكان يقول : أنا ان أردت معرفة شيء ، أصلى الى الله ، فيكشف لى . وأتأمل في آيات الكتاب ، فأفهم منها . فلا حاجة بى الى الكتب .

وكما أن الناس كانوا يأتون من مشارق الدنيا ومغاربها الى الأنبا أنطونيوس ، يطلبون منه كلمة منفعة ، يجعلونها دستوراً لحياتهم .

كذلك فان الامبراطور قسطنطين الكبير أرسل اليه رسالة ، يطلب منه فيها بركاته وصلواته . ولما لم يقرأ القديس هذه الرسالة لتوه ، تعجب تلاميذه . فقال لهم : لا تتعجبوا من هذا ، بل تعجبوا بالأكثر أن الله يرسل لنا الرسائل كل يوم في كتابه المقدس ،ونحن لا نسرع الى قراءتها ..!

محاربته للأريوسية :

كان الأنبا أنطونيوس في نظر الناس نبعاً كبيراً للقداسة ، ومعلماً كبيراً للروحيات ...

وكانت كل كلمة تخرج من فمه هى كلمة ثقة وصدق :

لدرجة أنه عندما انتشرت الأريوسية في الاسكندرية ، نتيجة للشكوك العنيفة التى أثارها الأريوسيون ضد لاهوت المسيح ، طلب الآباء الأساقفة من

القديس انطونيوس أن ينزل لكي يقول كلمة فيسند بها تعليم البابا أثناسيوس الرسولي ..

ونزل الأنبا أنطونيوس ، الى الاسكندرية ، وهو فوق المائة من عمره ، وقضى فيها ثلاثة أيام ، فيها ثبت الناس في الايمان .

ويقول المؤرخون ان الأيام الثلاثة التى قضاها الأنبا أنطونيوس فيالاسكندرية، كان لها مفعول السحر في الناس ... وكانت أكثر دسماً من سنوات عديدة في التعليم ...

كانت كلمة التعليم تخرج من فم الأنبا أنطونيوس، تسندها قداسة سيرته، وتسندها المعجزات ، وتسندها ثقة الناس به ...

انه رجل الله . فكل ما يقوله هو كلام من الله .

ان الشخص العادى حينما يتكلم ، ربما يحتاج الى أدلة كثيرة ، واثباتات وبراهين كثيرة لكي يقنع الناس . أما الانسان القديس ، الذى يشهد له الله بآيات ومعجزات ، الانسان القديس الذى هو موضع ثقة الناس بروحياته ، فيكفى ان يقول كلمة ...

لا يلزمه ان يبرهن كثيراً ويثبت ، أو أن يتعب نفسه في النقاش ... يكفى أن يقول كلمة وينتهى الأمر ...

هكذا كانت كل كلمة للأنبا أنطونيوس .. لها ثقل عجيب !

وكان الأنبا أنطونيوس يعلم، ليس فقط بالكلام ، وانما ايضا بالرسائل. وله عشرون رسالة ، ارسلها الى أولاده .

ترجمت هذه الرسائل الى العربية ، وهي موجودة في مخطوطاتنا في الأديرة، آخرها رسالته الى تلميذه بينوده .

وقد طبع البعض هذه الرسائل ونشرها .

وكانت موضع دراسة لعلماء كثيرين .

وللقديس انطونيوس تعاليم كثيرة ضمنها بستان الرهبان :

خاصة بنصائحه الى ابنائه الرهبان ، في النسك والروحيات ..

وله سيرته وحياته المقدسة التى كان يتغذى بها الناس .

وتعاليمه كانت اما في كلمات قليلة يرد بها .. أو في عظات طويلة ، كما في رسالته ، وفي سيرته :

له في كتاب سيرته التى وضعها القديس الأنبا أثناسيوس ، عظة طويلة

قالها عن ضعف الشياطين ، وأنه ليست لهم القدرة الخيالية التى يخشاها الناس لذلك لا داعى أبداً لأن يخافهم الناس ويرتعبوا منهم ••• انها عظة طويلة ••

وكلمات الأنبا أنطونيوس كان لها تأثيرها ، ليس في الأشخاص العاديين فقط انما أيضاً في شيوخ الرهبنة وقادتها ومرشديها • كانوا جميعاً يعرفون أنه يتكلم بالروح القدس •

ولم تكن كلماته فقط نافعة للتعليم ، أو سيرة حياته فقط نافعة للتعليم ، وانما حتى مجرد ملامح وجهه •••

زاره مرة ثلاثة من الرهبان ، أخذ اثنان منهم يسألانه عن بعض أمور • أما الثالث فبقى صامتاً • فسأله الأنبا أنطونيوس ، لماذا لا يطلب شيئاً مثل زميليه ؟ فأجاب : يكفينى مجرد النظر الى وجهك يا أبى ••

وقد قال القديس أثناسيوس عن الأنبا أنطونيوس « من من الناس كان مضطرب القلب أو مر النفس ، ويرى وجه الأنبا أنطونيوس ، الا ويمتلىء بالسلام •• » •

لعله كان أيضاً من مصادر السلام بالنسبة الى الأنبا أثناسيوس نفسه في وسط ضيقاته الكثيرة •

وكان الأنبا انطونيوس يحب الافراز ، اى الحكمة والتمييز والمعرفة :

ففى احدى المرات سأله أولاده عن الفضيلة العظمى في الرهبنة • فقال لهم : انها الافراز • لأن كثيرين صاموا ، واضروا أنفسهم بصومهم • وكثيرين صلوا وفشلوا في صلواتهم ، بسبب عدم الافراز • وله عظة عن الافراز في بستان الرهبان •

ذلك لأن الشخص الذى يقتنى الافراز والتمييز ، يستطيع أن يميز بين النافع والضار واللائق وغير اللائق • لذلك اهتم الأنبا أنطونيوس بفضيلة الافراز • وهو أيضاً كانت له هذه الفضيلة •

ولم يكن يفرح بالآراء بقدر ما كان يفرح بالعمل الروحى الفاضل ، وبخاصة الباطنى منه •

في احدى المرات زاره بعض الرهبان ، وسألهم رأيهم في تفسير آية معينة، فأبدى كل منهم وجهة نظره • وكان الأنبا يوسف معهم فبقى صامتاً • فسأله القديس الأنبا أنطونيوس عن رايه في تفسير الآية ، فأجاب : صدقنى يا أبى أنى لا أعرف •

وهنا قال له الأنبا أنطونيوس : طوباك يا أنبا يوسف ، لأنك عرفت الطريق الى كلمة لا أعرف •••

الأنبا أنطونيوس كتلميذ يتعلم

مصادر معرفته :

ما مصادر المعرفة عند الأنبا أنطونيوس ؟

وممن استقى تعليمه ؟

فلا يمكن لشخص أن يرتقى الى رتبة التعليم ، ما لم يتعلم أولا ويتتلمذ ويفهم · فأين تتلمذ القديس الأنبا أنطونيوس ؟ وعلى يد من ؟

كان الأنبا انطونيوس يطلب المعرفة من كل مصدر :

وكانت هذه هى الصفة الأولى في تلمذته ···

يطلب العلم من كل مصادره · لا يتعلم فقط من الأساتذة الكبار ، وانما من كل شيء ، ومن كل أحد ، ومن كل حادث ، ومن كل شخص حتى لو كان خاطئا ··

● **اول درس له ، تعلمه من انسان ميت :**

وعجيب ان يتلقى أول درس له في الرهبنة ، لا من انسان حى ، انما من شخص ميت · وكان هذا الميت هو أبوه ··

لما مات أبوه ، نظر الى جثمانه المسجى ، وتعلم من هذا الموت شيئا ·· نظر الى أبيه الميت ، الذى كان يملك ثلاثمائة فدان من أجود أطيان قمن العروس ببنى سويف ، وكان له غنى ونفوذ بين مواطنيه ، وقال له :

« أين هى قوتك وعظمتك وسلطانك ؟ أنت خرجت من العالم بغير ارادتك · ولكننى سأخرج منه بارادتى ، قبل أن يخرجونى كارهاً » ·

وهكذا تلقى اول درس في الموت عن العالم ·

تأمل في ذلك الرجل الغنى العظيم ، الذى كان يملأ الدنيا قوة وسلطة ، وهو الآن بلا حراك ، لا يملك حتى التصرف في جسده !

● **أما الدرس الثاني ، فاخذه من الانجيل ···**

والأنبا أنطونيوس كان يسمع كلام الله في عمق ، وكان جاداً في سماعه · وكل كلمة يسمعها ، كان يعتبر أنها موجهة اليه شخصياً ··· ففى احدى المرات ـ وهو في الكنيسة ـ سمع قول الرب للشاب الغنى « ان أردت أن تكون كاملا ، اذهب بع كل مالك واعطه للفقراء ، وتعال اتبعنى » ·

وكان أول من سمع هذا الكلام الالهى شاباً غنياً مثله سمع ومضى حزينا مع انه سمع هذه الآية من فم الرب يسوع المسيح نفسه ، من صوت السيد

المسيح الملوء تأثيراً وعمقاً وروحانية • ولكنه لم يتأثر ولم ينفذ ، لأن محبة المال كانت في قلبه •

أما الأنبا أنطونيوس ، فلما سمع هذه العبارة ، وكان هو أيضاً شاباً غنياً، لم يمض حزينـاً ، وانما مضى وباع كل ماله فعلا ، وأعطاه للفقراء • أخـذ الأمر الالهى بطريقة جدية ، لأنه كان يسير في حياته بهذا الأسلوب الجدى •••

ولما بدأ يدبر الأمور ، ويفكر كيف يصرف هذا المال ، وكيف يدبر أيضاً مستقبل أخته ، مضى الى الكنيسة فسمع قول الرب « لا تهتموا بما للغـد » • فأعتبر هذا الكلام أيضاً موجهاً اليه هو بالذات ، وأسرع في الخروج من العالم •

بينما في أيامه ، لم تكن هناك رهبنة بالمفهوم الحالى ، والنظام الحالى ، لأنه هو أول الرهبان •

كم من مرة نسمع نحن هذه الآيات تقرأ علينا في الكنيسة ، ولا نتـأثر ونعمل مثلما تأثر بها الأنبا أنطونيوس وعمل •••!

ولكنه كان انساناً يود أن يستفيد ، ويعتبر أن كلام الله للعمل ، وليس لمجرد السماع والمتعة الروحية به •

كان جاداً في سماعه ، يحول كلام الله الى حياة •

كان يعمل بقول الرب « الكلام الذى أقوله لكم ، هو روح وحيـــاة » • فكان يفهم الروح الذى في الكلام ، ويحوله الى حياة •••

لقد تعلم درسه الأول في الرهبنة من موت أبيه •

وتعلم درسه الثانى من آيات الانجيل التى سمعها •

فممن تعلم درسه الثالث اذن ؟

● **تعلم درسه الثالث من القدوة الحسنة •••**

كان هنـاك بعض النسـاك يعيشون على حافة القرى •ففى أول خروج الأنبا أنطونيوس تعلم من هؤلاء النساك• ولم يشأ أن يكون مقلداً لشخص معين منهم ، وانما أخذ من كل واحد شيئاً : كان يتعلم من هذا الهدوء ، ومن ذاك الوداعة والاتضاع ، ومن ثالث الصمت ، ومن رابع المداومة على الصلاة ، ومن خامس النسك ، ومن سادس السهر •••

كان يبحث عن الشىء الفاضل في أى انسان يقابله ، ويتعلمه منه ، دون أن يكون صورة طبق الأصل لشخص واحد بالذات •

---

(١) أش ٨ : ١٨

● **أما الدرس الرابع ، الكبير ، فتعلمه من امرأة مستهترة ...**

كان متوحداً الى جوار النهر ، واذا بامرأة لا حيـــاء لها ، قد جاءت الى حيث كان ساكناً يتعبد . وبدأت تخلع ملابسها ، لتنزل الى البحر لتستحم أمامه، وهى لا تخجـل ! أما هو فقـد خجل ، وأنبها قائلا « يا امرأة أما تسـتحين أن تتعرى أمامى وأنا رجل راهب ؟! » فأجابته « لو كنت راهباً ، لدخلت الى الجبل في البرية الجوانية ، لأن هذا المكان لا يصلح لسكنى الرهبان » ! قالت ذلك ، وهى تضحك منه باستهزاء ...!

أما الأنبا أنطونيوس ، فأخذ كلمة الاستهزاء هذه ، بجدية . وقال : حقاً هذا صوت الله لى على فم هذه المرأة .

وقام فعلا ، وترك ذلك المكان ، شاعراً أنه لا يناسبه فعلا كراهب ، ودخل أعماق الجبل ، وكان دخوله بركة للعالم ... حتى كلمة الاستهزاء والتهكم التى سمعها ، أخـذها بعمق وروحانية وتنفيذ . ولم يغضب بسـببها ، انما انتفع روحياً ...

ويبدو أن نساء شريرات كثيرات ، كن على غير قصد منهن ، سبب بركة وتعليم لكثير من القديسين :

وكما يقول الكتاب ان الله يخرج من الجافي حلاوة (1) .

+ وقد رأينا كيف أن الأنبـا أنطونيوس انتفع روحياً من كلمة قالتها امرأة لا تستحى من ان تتعرى أمامه .

+ والقـديس مقاريوس الكبير ، كان سبب دخوله الى البرية أيضـاً ، امرأة أخطأت مع شاب ، وحملت منه ، ولمـا انكشـف أمرها اتهمت هـــذا القديس المتوحد ظلماً . فأتى أهلها وأهانوه أشـــد اهانة وكلفوه بالعناية بها ، ولمـا حان موعـد ولادتها لابنها ، تعسرت ولادتها جـداً ، وكادت تموت ، فاعترفت بخطيئتها وظلمها لهـذا القديس ، فأتى الناس ليعتذروا اليه ، فهرب من المجد الباطل ، وترك تعبده على حافة القرية ، ودخل الى البرية .

+ امرأة خاطئــة أخرى ، قابلت القديس مار أفرام السريانى ، والظاهر انه كان جميل الصورة جداً ، فأخذت تتأمل جمال وجهه ، وثبتت عينيها على وجهه ، فخجل ولامها على ذلك ، فقالت له .

« أنا امرأة ، في الأصل مأخوذة من رجل ، فمن الطبيعى أن انظر اليك . أما أنت فرجل مأخوذ في الأصل من تراب، كان ينبغى أن تنظر الى التراب الذى اخذت منه » ...

---

(1) قض ١٤ : ١٤

فانتفع القديس مار افرام ، وجعل وجهه في الأرض ، وتركها ومضى ، واستفاد من عدم حيائها ...

وطبعاً لا يجوز أن تفعل النساء هكذا ، معتمدات على منطق هذه المرأة ! فانها امرأة خاطئة ، وليست مثالا .

عموماً ، ان الشخص الذى يريد أن يستفيد روحياً ، يمكنه أن يتخذ كل مصدر لفائدته ، حتى المرأة الخاطئة . وكما يقول الكتاب : « كل شيء طاهر للطاهرين » ١ .

ان ربنا يسوع المسيح علمنا أن نستفيد دروساً روحية ، من تأملنا لزنابق الحقل التى تلبس أعظم من سليمان في كل مجده ، ومن طيور السماء التى لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع الى مخازن ، وأبونا السماوى يقوتها .

ولقد أعطانا دروساً ، من الزارع والبذار ، ومن الحنطة والزوان ، ومن الشباك والصيد ، ومن الخميرة ، ومن الابن الضال

لأن من أراد أن ينتفع ، يمكنه أن ينتفع .
ومن له اذنان للسمع ، سيسمع ما يقوله الروح للكنائس .

وعلى رأى أحد الآباء الروحيين، الذى قال «تعلمت الصمت من الببغاء». أى أننى لما رأيت تفاهة الثرثرة ، تعلمت الصمت .

لقد تعلم القديس الأنبا أنطونيوس دروسه الأربعة : من جسد انسان ميت ، ومن آيات الانجيل ، ومن القدوة الصالحة ، ومن صوت الله على فم امرأة خاطئة ..

فماذا كان المصدر الثابت لتعليمه ، ليس في الدرس الخامس فقط انما في دروس عديدة ؟.

● **لقد تعلم أيضا من التأمل في الكتاب :**

عيبنا في هذا الزمان أننا نقرأ كثيراً ، ولكن تأملنا قليل ، لذلك لا ندخل الى أعماق المكتوب ...

أما الأنبا أنطونيوس ، فلم تكن لديه كتب كثيرة مثلنا . كان راهبا بسيطاً ، من غير المعقول أن ينتقل في البرية من مكان الى آخر وهو مثقل بأحمال من المخطوطات !

كان يقرأ قليلا في كتاب الله ، ولا يقف عند المعنى الخارجى للكلمة ، أو المفهوم السطحى ، انما يدخل في عمق الى روحانية الكلام . وحسبما قال

---
(١) تى ١ : ١٥

القديس بولس الرسول « خمس كلمات بفهم ، أفضــــل من عشرة آلاف كلمة بدون فهم » ١ ·

بهذا كان القديس انطونيوس يفهم معانى الكتاب أكثر من غيره · وبهذا شهد له الكثيرون ·

● **وكان القديس انطونيوس يتعلم أحيانا من اولاده ··**

من أولاده الذين هو معلمهم · كما قال ، انه كان يأخذ أحياناً من تلميذه الأنبا بولس البسيط ، وكان هذا يسكن في مغارة تحت مغارة معلمه في الجبل · وكانت في حياته بساطة ونقاوة ، ويصلح سـلوكه أن يكون نافعاً ومفيـداً لمن يرغب في المنفعة ·

● **وهناك امور تعلمها القديس أنطونيوس من الله مباشرة ، عن طريق الكشف ، او عن طريق الملائكة :**

فلما حورب بالضجر في الوحدة ، أرسـل له الله ملاكاً يريه كيف يصـلى ويعمل بيديه ، ويقاتل الضجر بعمل اليدين ·

وأراه الملاك الزى الرهباني ، القلنسوة المملوءة صلباناً ··

ولما حورب بالمجد الباطل ، أرشده الله الى حيث يوجد القديس الأنبا بولا السائح ، ليأخذ درساً من حياته ويتضع ···

● **وقد تعلم القديس انطونيوس أيضا من الخبرة ومن حروب الشياطين :**

كان يتعلم من الحيل التى يستخدمها الشياطين معه ، ومن أفكارهم وحروبهم ومحاولاتهم لاســـقاطه · وهكذا بالخبرة والممارسة تدرب على أشـياء كثيرة ، واتسعت معارفه ·

ولهذا بعد أن قضى تلميذه الأنبا بولس البسيط فترة معه ، يتتلمذ عليه، ويعيش تحت ظل صلواته ، وكان يود أن يستمر هكذا ، أمره الأنبا أنطونيوس أن يسكن في مغـارة وحده ، « لكى يجرب حروب الشـياطين » ··· ويختبر ، ويتعلم ، ويتقوى ···

اذن كان الاختبار مصدراً من مصادر التعليم عند الأنبا أنطونيوس ·

وفي الواقع كانت اختباراته كثيرة وعلى مدى طويل :

لقد عاش في حياة الوحدة والنسك والصلاة أكثر من ثمانين عاماً ، وقد حفلت ــ وبخاصة في بدايتها ــ بالعديد من الحروب ، أثارها الشـــياطين عليه لكى يبعده عن هذه الحياة الملائكية :

حاربوه بالأفكار والشكوك ، شككوه في هذا الطريق ، وفي مصير أختـه ،

---

(١) ١ كو ١٤ : ١٩

وفي امكانية اســـتخدام المال للخير بدلا من توزيعـــه على الفقـــراء • وحاربوه بالحواس ، والمناظر المخيفة ، وحاربوه في عفته بمناظر العبث والنساء •

وظهروا له بهيئة فهود ونمور وأسـود وحيوانات متوحشـــة ليرعبوه • فانتصر عليهم ولم يخف• وقال لهم « لماذا هذا التجمهر ؟ لو كنتم أقوياء ، لكان واحد منكم فقط يكفي لمحاربتي ، بينما أنا أضعف من مقاتلة أصغركم » ••• نقطة ذكاء ••

وحاربوه ايضا بالضرب والايذاء •••

وبالأخص حينما كان يسكن في مقبرة ، في بدء رهبنته •

وربما يكون قليل من القديسين قد ضربوا من الشـــياطين ضرباً عنيفاً ، كما حدث للأنبا أنطونيوس •

لقد ضربوه بعنف شيطاني لا رحمة فيـــه ، حتى تركوه في المقبرة ما بين حي وميت • وهو نفسه قال عن هذا الحادث « ان الضربات التي كانت تقع على، كانت من القوة والعنف ، بحيث أنني لا أظن أن قوة بشرية تستطيع أن تضرب بمثل ذلك الايلام وبمثل تلك القسوة » •••

ولما جاء العلماني الذى يخدمه ووجده هكذا ، حمله الى كنيســـة القرية وهو في غيبوبة ، فبكى عليه الناس • وعند منتصف الليل تقريباً ، وكان الناس قد انصرفوا ، فتح الأنبا أنطونيوس عينيه ، وسأل الأخ العلماني « أين أنا ؟ » فلما أخبره أنه في كنيسة القرية ، قال له « احملني الى المقبرة » • ولما أدخله فيهـــا ، قال له « اغلق على وأمضى » • ثم اعتدل الأنبـــا أنطونيوس **وقال** للشياطين •

« ان كان الله قد أعطاكم سـلطانا على ، فمن أنا حتى اقاوم الله ؟! وان كان الله لم يعطكم سـلطانا ، فلن يستطيع أحـد منكم أن يؤذيني ! » • وبدأ يرتل مزاميره :

« الرب نورى وخلاصي ممن أخاف ؟! الرب عاضد حياتي ممن أرتعب ؟ عند اقتراب الأشرار مني ليأكلوا لحمي ، مضايقي وأعدائي جزعوا وسقطوا • ان يحاربني جيش ، فلن يخاف قلبي • وان قام على قتال ، ففي هـــذا أنا مطمئن » •

وكانت الشياطين تنحل أمامه كالدخان وتمضى صارخة •••

ولما انتصر هكذا على الشياطين ، بدأت الشـــياطين تخافه عالمة انه اقوى منها • وتعلم هو من هذا دروسا •••

تعلم أن لا يخاف من الشـــياطين ، وتعلم قوة الصـلاة والمزامير وعجز الشياطين أمامها • وتعلم الشجاعة أيضا ، والصلابة في الجهاد • وأخذ خبرة في العمل الروحي وفي حروبه •

ومن ذلك الحين، بدأت الشياطين تخافه ، لأنه هزمها في أكثر من ميدان ٠ وألقى فيما بعد عظته عن ضعف الشياطين ٠

وأخذ قوة من ذلك كله ، على اخراج الشياطين وطردهم :

وعاش هذا الجبار وحده في الجبل ، يملأ البرية صلاة وتأملات وتسبيحاً وترتيلا وقدسية وطهراً ، ويرتعب منه الشياطين ، وتحيطه الملائكة ٠

وعرف كيف يتعامل مع الشياطين ، بالتواضع ، وبالحزم :

عرف متى يقول لهم في اتضاع : أيها الأقوياء ، ماذا تريدون منى أنا الضعيف ؟ أنا أضعف من أن أقاتل أصغركم ٠ ألا تعلمون انى مجرد تراب ورماد ؟٠

وتواضعه هذا كان يحرقهم ويطردهم بعيداً ٠٠٠

وعرف أيضاً متى يكون حازماً وشديداً معهم ٠ ويقول لهم في ثقة ٠

« لو كنتم أقوياء ، لكان واحد منكم يكفى لمحاربتى » ٠ « ان كان الله لم يعطكم سلطاناً على ، فلن يستطيع أحد منكم أن يؤذينى ٠

واستطاع أيضا أن يميز افكارهم وخداعهم وأحلامهم :

في احدى المرات أتاه الشيطان مرة ليوقظه ليصلى !! فلم يسمع منه٠ وقال له : متى أردت أن أقوم للصلاة ، سأقوم وأصلى ٠ ولكن منك أنت لا أسمع ٠

وفي احدى المرات تعجب البعض من سر كشفه لهم ، فسألوه عن ذلك ، فقال « أتى الشياطين في حلم وأخبرونى » ٠٠٠

لقد اكتسب افرازاً وعلماً من حروب الشياطين :

ان الأنبا أنطونيوس في تعليمه لغيره ، انما كان يعلم من حصيلة خبرة طويلة ، لم يكن يعلم من معرفة الكتب ، لم يحدث انه قرأ كتاباً وفهمه ، وأخذ أفكاره وشرحها للناس ٠

انما كان يحيا الحياة ، ويجرب ويختبر ، ثم يعلم :

لقد عرف الشياطين وحروبهم ، وعرف الأفكار وحروبها ، وعرف الجسد وحروبه ، وجرب الرؤى والأحلام ٠٠٠ ومن ناحية أخرى ذاق حلاوة العشرة مع الله ، في الوحدة والصلاة ، والتعزيات الالهية ، والكشف الالهى ، والتأمل ٠ ومن واقع هذه الخبرة الطويلة مدى عشرات السنوات ، كان يتكلم كلاماً عملياً عن خبرة وتجربة ، وليس كلاماً من الكتب ٠ لذلك كان لكلامه تأثير ٠٠٠

ان خبرة ٩٠ سنة في الروحيات ليست أمراً هيناً انها رحلة طويلة مشاها مع الله في الجبل المقدس ٠٠٠ مشوار طويل مشاه في البرية ، في الصحراء ، يده في يد الله ، وحياته في قلب الله ٠٠٠ يختبر ويذوق ما أطيب الرب ٠

● والقديس الأنبا أنطونيوس ، كانت له عينان مفتوحان ، تكشفان الأسرار وتستطيعان أن تمزقا الحجب ، وتريان ما لا يرى ٠

في مرة من المرات كان واقفاً مع تلاميذه ، ثم رأوه قد سها قليلا ونظر الى فوق فترة ، ثم تنهد • فسألوه ••• فقال : « لقد انتقل اليوم عمود كبير من أعمدة الرهبنة ••• لقد رأيت روح الأنبا آمون وهى صاعدة الى السماء تزفها الملائكة » •••

صدقوني يا اخوتى ، لقد وقفت مذهولا فترة أمام هذه العبارة •••! ما الذى رآه الأنبا انطونيوس ؟ وكيف رأى ؟

ان أرواح البشر لا تراها العين المحسوسة المادية ، وكذلك أرواح الملائكة ! فهل رأى الأنبا انطونيوس هذه الرؤيا بالروح أم بالجسد ! ان كان بالروح فكيف وهو في الجسد ؟! وان كان في الجسد فكيف ؟ هل ظهرت الملائكة في هيئة منظورة ، كما يظهرون أحياناً للبشر ، وهل كذلك ظهرت روح الأنبا آمون ؟ أم كان الأنبا انطونيوس في ذلك الوقت « في الروح » كما كان يوحنا الحبيب ١ « في الجسد أم خارج الجسد ؟ لست أعلم • الله يعلم » ٢ •

كان الأنبا انطونيوس رجلا مفتوح العينين، يكشف له الله أموراً وأسراراً•
وقد تعلم كثيراً من الكشف الالهى ، وتعلم من الرؤى ومن الملائكة •••
كما سبق له وتعلم من الموت ومن الحياة ، من الأبرار ومن الخطاة ، ومن التأمل في كلام الله •••

ولما امتلأ علماً فاض من علمه على الآخرين •••
وكان الفلاسفة يأتون اليه ، ليتعلموا من هذا الأمى، الأمى في نظر فلسفة اليونان والرومان •••!

هذا هو الأنبا انطونيوس العجيب •••
الكنيسة مملوءة من العلماء والفلاسفة والمفكرين ، ومملوءة من الأساقفة والمطارنة والبطاركة وكل رتب الكهنوت •
ولكن ليس فيها كثيرون من أمثال الرجل العظيم الأنبا انطونيوس !•
من هذه الطاقة الروحية الجبارة ، التى أحتقرت الدنيا وما فيها ••• وزهدت كل شىء : المال والشهرة والأسرة ، ومتع الأرض كلها ، والجسد ••• فأصبح الله له هو الكل في الكل •
نادراً ما نجد انساناً ناسكاً زاهداً عابداً ، مثل الأنبا انطونيوس ! فكم بالأكثر انساناً قائداً معلماً مثالا في هذا الطريق كالأنبا انطونيوس ! نبغ في الروحيات ، اختبرها ، وعلمها لغيره ، بالتعليم والقدوة الصالحة •••
نطلب بركة هذا القديس العظيم ، وبركة هذه الكنيسة المقدسة ••
ولالهنا المجد الدائم الى الأبد آمين ؟

---

(١) رؤ ١ : ١٠ (٢) ٢ كو ١٢ : ٢

الفصل الخامس

القديس أنطونيوس : أعطى أم أخذ ؟

لاشك أن القديس انطونيوس قد أعطى الرب كل شيء :

انه حسب الوصيـــة « مضى وباع كل ماله وأعطاه للفقراء » ·· أعطى الرب ثلثمائة فدان من أجود أطيـان بني سـويف · وأعطى الرب أيضاً ما كان ينتظره من مركز وجاه كوريث لوالده · وأيضـــاً زهد فكرة الزواج وما كان يمكن ان ينجبه من اولاد · وكذلك زهد كل ما في الدنيا من علم ومعرفة ومتع وصلة بالناس ···

ومع كل ذلك يلح علينا السؤال : هل هذا القديس قد أعطى أم اخـذ ؟ ام اعطى فاخذ ؟ ···

وننتقل من هذا السؤال الى سؤال آخر يتبعه :

هل الرهبنة عطاء أم أخذ ؟ أم هى عطاء يتحول الى أخذ ؟ او عطاء يكافأ بأخذ ؟ الأخذ فيها أكثر من العطاء ؟·

● **هذا القديس أعطى الله قطعة ارض (٣٠٠ فدان) ·**

ولكن الله أعطاه الأرض كلها ، والسماء أيضاً ··· فاصبح له في كل بلد من البلاد أديرة ، وكنائس ، وأماكن مقدسة · واصبحت له كل البرية أيضاً ، وكل الأديرة التى على أسماء قديسين آخرين ، لأنه أبو الرهبنة في العالم كله · فهل أعطى أم أخذ ؟·

انني حينما أرى الأراضى والأملاك الموقوفة على دير الأنبا أنطونيوس في مصر وحسـدها · أرى انها أكثر مما تركه القديس الأنبـا أنطونيوس في قمن العروس ··! بالاضافة الى أرض الأحياء ··

انظروا ان كلمة ربنا يسوع المسيح لم تسقط ابداً ، حينما قال :

من ترك أبا او أما ·· او اخوة او أخوات ، أو زوجة ، او مقتنيات من أجلى ، يأخذ مائة ضعف في هذا العالم ، وملكوت السموات (مر ١٠ : ٢٩) ·

لعل البعض حينما إعطى القديس أنطونيوس أرضه للرب ، قالوا عنه : مسكين، ضيع نفسه وأرضه وثروته ومستقبله ٠٠٠! بينما يرد الرب عليهم قائلا « من أضاع نفسه من أجلى يجدها » (مت ١٦ : ٢٥) ٠

ويقول الكتاب للأنبا أنطونيوس «مناك ربح عشرة أمناء »(لو ١٩ :١٦)٠

● ماذا ترك القديس أيضا غير الأرض ؟ هل ترك أولادا ؟!

لنفرض أن الشاب أنطونيوس ، بدلا من الرهبنة تزوج وانجب ، كم من أبناء كان سينجب ؟ خمسة ؟ عشرة ؟ عشرين؟٠٠٠ هوذا له الآن آلاف من أبنائه الرهبان في كل جيل ، يصل عددهم الى ملايين منذ بدأ الحياة الرهبانية في أواخر القرن الثالث حتى الآن ٠٠٠ يضاف الى ذلك ملايين من أبنائه الروحيين مثلكم ، من غير الرهبان ٠٠٠

حقاً ان المسيح حينما قال ان يعوض « مائة ضعفا » كان منكرا لذاته في كرمه ، لأنه أعطى بآلاف الأضعاف ٠٠٠

بل قد جعل الله هذا القديس يتخطى حدود المكان والزمان :

هذا الذى ترك بلده ، وتوحد في الجبل لأجل الله ، تاركاً العالم لأجله ، أصبح العالم كله يتحدث عنه ٠ اسمه وصل الى أقطار المسكونة كلها ٠ لا توجد قارة من قارات العالم الست ، لا تعرف الأنبا أنطونيوس ! اسمه تخطى حدود قريته ، بل حدود مصر ، بل حدود أفريقيا ، حتى في أيامه ٠٠ واصبح له أولاد وأديرة وكنائس في كل موضع ٠ واصبحت له أماكن مقدسة لا تعد ٠ حقاً ، هل أعطى أم أخذ ؟!

● وماذا أعطى القديس الأنبا أنطونيوس أيضا للرب؟ هل أعطاه عمراً ؟ هوذا الله جعل حياة الأنبا أنطونيوس تتخطى الزمان !٠

كثيرون تنتهى حياتهم في الأرض بوفاتهم ، وينساهم جيلهم بعد حين ، وتنساهم الأجيال ٠ وهوذا قد مر أكثر من ١٦ قرناً على نياحة الأنبا أنطونيوس، وما زال حياً بيننا حتى الآن ، حياً في مبادئه ، وفي تعاليمه ، وفي أولاده ، وفي النهج الذى اختطه ، وفي ذكراه ٠٠٠

انه من الأسماء الخالدة التى لا تنسى ٠ انه روح كبيرة ، أكبر من الموت ٠ لم يستطع الموت أن ينهى رسالتها ٠ فلم تقتصر حياته على جيله ، بل تختطه عبر الأجيال ، ولا تزال بيننا ٠ انه صاحب حياة بدأت ولم تنته ٠٠٠

عند رهبنة كل راهب ، يصلون عليه صلاة الأموات (أعنى المنتقلين) ، على اعتبار أنه مات عن العالم ٠ ولكن قديسنا هذا بموته عن العالم ، دخل في الحياة التى لا تنتهى ، وما زال بها حياً بيننا ٠

أتراه أعطى الله حياة كرسها له ، أم أخذ حياة لا تنتهي ؟!

● **هل لأجل الله أيضا ترك جاها وسلطانا وعظمة وشهرة ؟**

اذ كان أبوه بالجسد ذا جاه وعظمة يورثها لابنه ... هنـاك واتخيل لو بقى أنطونيوس في مكان ابيه ، أى مسـتقبل كان ينتظره ؟ أتراه كان سـيصير عمدة بلدة قمن العروس ؟ أو أعظم رجل في المركز أو في محافظة بنى سويف ، مدى حياته ، ثم ينساه الناس ، كما نسوا اسم أبيه على الرغم مما كان له من عظمة وجاه وغنى ...!

هوذا الأنبا أنطونيوس في جيله ، يرسل اليه الامبراطور قسطنطين يطلب بركته ، ويأتيه الفلاسفة والنبلاء من كل مكان يطلبون حكمته • وينال شـهرة لم ينالها أحد • وتسمية الكنيسة « العظيم الأنبا أنطونيوس » •

أتراه حقاً في هذه النقطة ،أعطى أم أخذ ؟!

● **ماذا ترك أيضا لأجل الله ؟ أتراه ترك الكهنوت ؟**

فلم نسمع أنه نال من درجات الكهنوت أو رئاسة الكهنوت ...

ولكن هوذا أولاده صاروا بطاركة وأسـاقفة • بل ان البابا البطريرك في أيامه (القـديس أثناسيوس الرسـولى) كان أحد أولاده الروحيين • وجميع بطاركة العالم يسجدون في مواضعه المقدسة ويطلبون بركاته ...

وكل رتب الكهنوت ، مهما علت ، تطلب في القداس الالهى صلوات الأنبا أنطونيوس ، وتتشفع به الكل يعتبرون أنفسهم أولاده ...

صدقونى ، لو اكتشـفت قطعة قماش صغيرة ، ثبت أنها من ثوب للأنبـا أنطونيوس لتنافس عليها كل بطاركة العالم وكهنته ورهبانه •

ترك الأنبا أنطونيوس الكهنوت ورئاسته • فصـار كل رجال الكهنوت من أولاده • أتراه في ذلك أعطى أم أخذ ؟!

حقا ان الله يعطى أكثر مما يأخذ ، بما لا يقاس :

يأخذ حبة قمح ، ليعطيك سنابل مملوءة قمحاً •

يأخذ نواة بلح ،ليعطيك نخلة ، تحمل آلافا من ثمار البلح •

وللأسف ، البعض يحجمون عن العطاء • تطلب الكنيسة من أم أن تعطى ابنها للرهبنة أو الكهنوت ، فتبكى وتمرض كأن كارثة ستحدث !•

تعجبنى جـدا في الأمهات ، القديسـة حنة أم صموئيل النبى • لم تنجب أبناء • ولما وهبها الرب صموئيل ، أعطته للرب وكان وحيدها ! فأعطاها الرب أولاداً آخـرين كثيرين ، لعلكم لا تذكرون أسماءهم (١ صم ١ : ٢٢) • أما

الابن الذى اعطته للرب ، فهو الوحيد الذى خلد اسمه ، وعرفت هى به انها « أم صموئيل » ٠

أعط اذن للرب ، وسيرد لك اضعافاً ، دون أن تطلب أو تنتظر ٠

الأنبا أنطونيوس اعطى حياته للرب ، وليس فقط أملاكه ٠ فماذا حدث ؟

أعطاه الرب بدلا من هذه الحياة الأرضية ، حياة روحية خصبة ٠ حياة أبدية مثمرة في ملكوته ، وأعطاه أيضا حياة أبنائه ٠٠٠

بل ان الأنبا أنطونيوس ذاته ، تحول الى رمز ٠٠٠

أصبح ليس مجرد شخص ، وانما صار رمزاً ،رمزاً لحياة الوحدة والصلاة والتأمل والزهد والنسك ، رمزاً لحياة الرهبنة بكل ما فيها من فضائل وروحانيات ٠ وكما قيل في احدى القصائد ٠

أنت رمز لحياة طهرت   اشتهى الخالق يوماً أن تكون

أصبح رمزاً لحياة الهدوء والسكون ، رمزاً للحياة التى تتخلى من الكل لكى ترتبط بالواحد ، الحياة السامية المقدسة التى لا تنشغل بتفاهات العالم وكل متعه ،لأنها تفرغت لله وحده ٠٠٠

ولم يعد القديس الأنبا أنطونيوس بالنسبة الينا مجرد انسان ، وانما أصبح مجموعة من المعانى والمثل والروحيات ٠ كلما نذكره ، نذكرها ، ممثلة فيه ٠ انه صورة حية ،ونموذج ، ومثال ٠ انه رسالة مقروءة من جميع الناس ٠ انه ملاك أرضى ٠ أعطى فأخذ ٠٠٠

● أعطى راحته وهدوءه ، وتعرض لحروب الشياطين وايذائهم ٠٠٠

بالتخويف ، بالضرب ، بالتشكيك ، في صورة وحوش ، في صورة نساء ، بأصوات مرعبة ، في وحدة بلا أنيس ٠٠٠!

ولكن الله أعطاه الاحتمال ، والقوة ، والانتصار ، وعدم الخوف ، وأعطاه سلاماً داخليا عجيباً ، وأعطاه مهابة روحية ، بحيث صارت الشياطين هى التى تخافه وترتعب من قوته الروحية ، صارت له موهبة اخراج الشياطين ٠ أتراه في كل ذلك أعطى أم أخذ ؟!

● كذلك في تركه العمران وسكناه القفر ، هل أعطى أم أخذ ؟

يبدو ظاهرياً أنه ترك بهجة العمران ، ودخل في وحشة القفر ، من أجل الرب ٠ ولكن الرب جعل القفر عامراً بهذا الملاك الأرضى ٠ وحول البرية الى سماء ،كواكبها هم هؤلاء الملائكة الأرضيون ٠ وصار هذا القفر مكاناً مقدساً ، يأتيه الناس من أقاصى الأرض ليتبركوا حتى بترابه ، وصار جبل أنطونيوس جبلا مقدساً ، وبرية أنطونيوس صارت برية مقدسة ٠ وكل شبر داسته قدماه ، باركه الرب ببركة خاصة ٠ وفجر له في القفر عين ماء ٠ هل حقاً أعطى أم أخذ ؟! ان الناس يشتهون بركة بريته أكثر من كل مباهج العمران ٠٠٠

ان الله يعطينا طبعاً أكثر مما يأخذ منا • ولكن •••

ولكن المهم ان نبـدأ نحن بالعطاء • ولا نفكر حينما نعطى أننا نعطى • وايضا لا نفكر أننا سناخذ عوضاً •••

ان من يجعل علاقته بالله ، علاقة طلب مستمر وأخذ ، هو انسان متمركز حول ذاته • أما الانسان الروحى ، فانه يعبر عن حبـه لله ، بالبذل المستمر ، ويقول للرب « من يدك اعطيناك » (١ أى ٢٩ : ١٤) • بل في تقديمه شـيئاً لله ، يشعر بتفاهة ما يقدمه ، اذا ما قورن بما أخذه منه •

هوذا مثل من خارج الرهبنة ، هو موسى النبى :

لا شـك أنه ترك قصر فرعون ، و « أبى أن يدعى ابن ابنـة فرعون » وترك « كل خزائن مصر » ، وصـار راعى غنم في البرية ••• تراه خسر أم كسب ؟!

لقـد ترك الأمارة • فاذا بالـرب يقول له « جعلتك الهـاً لفرعون » (خر ٧ : ١) • واذا بفرعون يتوسـل أكثر من مرة الى موسى ، طالباً منه أن يصلى عنه ، ليرفع الله عنه الضربات • وكان واضحا أن موسى في موقف أقوى من فرعون ••• ثم صار موسى قائداً لشعب بأسره • وأصبح رجل معجزات ، يشق البحر ، ويفجر من الصخرة ماء • لا شـك أن موسى قد أخذ أكثر مما أعطى ، بما لا يقاس •

ان علاقتنا بالله هى علاقة أخذ مستمر ، لا عطاء :

هل تقول انك تعطى الله وقتاً للصلاة ؟ كلا ، انك لا تعطى وقت الصلاة، بل تأخذ بركة ونعمة، وتنال عملا من الروح القدس داخلك، وبركات لا تحصى•

الله أعطاك أسـبوع عمر ، وأنت تقدم له يوماً من هـذا الأسبوع الذى وهبك اياه ، فهل أنت تعطى ؟! كلا ، بل أنت تأخذ بركة هـذا اليوم • وكما يقول الكتاب ان « السبت قد أعطى للانسان » (مر ٢ : ٢٧) •

القديس انطونيوس ، حينما أعطى حيـاته لله ، لم يكن يفكر اطلاقاً انه سيأخذ كل ما أخذه ، وما جال ذلك بفكره •

وفي نفس عملية العطاء بالنسبة اليه ، كانت عملية أخذ :

اخذ فيها بركة الجلوس مع الله ، وبركة حياة السكون والتأمل • واخـذ فيها بركة هـذا الطقس الملائكى • واخـذ النعمة الكبرى التى عملت فيه حتى استطاع ان يصمد في الوحدة •

انه لم يقل اطلاقاً « سأعطى الله صلواتى » ، بل كان شـعوره : أريد أن اتمتع بالله والوجود معـه ، وأن يعطينى الله هـذا الشرف وهذه المتعة ، متعة الوجود في حضرته •

شعور الانسان بانه يعطى الرب ، شعور خاطىء روحياً :

فنحن باستمرار نقترب الى الله ، لكى نأخذ ··

ثم ، من نحن حتى نعطى الرب ؟! ومن هو الرب الذى نعطيه ؟·

الله مالك السموات والأرض ، وخالق السموات والأرض ، وصاحب كنوز النعم التي لا تحد ولا تفرغ ··· هل من المعقول أننا نعطيه ؟!

الأرملة التي أعطت رجل الله ايليا حفنة دقيق وقليل زيت ، هل أعطت أم أخذت ؟ انظروا ، هوذا « كور الدقيق لا يفرغ ، وكوز الزيت لا ينقص » طول مدة المجاعة (١ مل ١٧ : ١٤) ·

وهكذا الأنبا أنطونيوس ، علمنا أن الحياة الروحية هي أخذ دائم من الله، أخذ بركة ، ومتعة ، في كل عمل روحى ·

ولو لم يكن القديس أنطونيوس يأخذ متعة روحية ، في كل أيام حياته في البرية ، أتراه كان يستطيع الحياة في القفر ؟!

ولو لم يكن يأخـذ نعمة وقوة ، أتراه كان يستطيع مقاومة كل حروب الشياطين ، في كل عنفهم وكل حيلهم ··· ؟!

انه كان يعيش الى جوار صاحب النعم كلها ، يغترف منه بالليل والنهار، نعمة ، وقوة ، وبركة ، ومتعة روحية ···

كان ممكناً للشـــاب أنطونيوس ، بالغنى الكثير الذى ورثه ، أن يتعلم ، ويأخذ من العالم معرفة وعلماً وشهادات دراسية ·

ولكنه من الله أخـذ معرفة عميقة ، ما كان ممكناً للعالم أن يعطيها ··· معرفة كانت تذهل كل فلاسفة وعلماء عصره ···

وكان الناس يأتون من أقاصي الأرض ، لكى يسمعوا من فمه كلمة منفعة، أو كلمة حياة ، يخلصون بها ··

انها كلمات أخذها من الله ، لها عمقها ، ولها قوتها وفاعليتها وتأثيرها ، وليست معرفتها من النوع الذى يعطيه العالم ·

لقد فضل أن يعيش في جهالة مع الله ، تاركاً علم العـالم ، « فأعطاه الله فماً وحكمة »(لو ٢١ : ١٥) ، وأعطاه علماً يفوق الكل فانذهل علماء الأرض من هذا (الأمى) · فهل الأنبا أنطونيوس أعطى أم أخذ ، وهوذا العـالم كله يستفيد من تعاليمه ···

ولأنه رفض من أجل الله معرفة العالم ، أعطاه الله علماً روحانيـاً ، علما الهيا ··· أعطاه علم معرفته ···

ليس في الأمور النسـكية فقط ، وانما حتى في اللاهوتيات أيضـاً · وقد

افحم الأريوسيين لما نزل الى الاسكندرية ، وكان لكلماته تأثير عميق • ويعتبره العلماء أستاذاً لأثناسيوس •••

ان الله حينما يضع كلمة في فم انسان ، يزود هـذه الكلمة بقوة وتأثير وفاعلية ، لا يستطيع أحد أن يقاومها •••

كان الأنبا أنطونيوس جهازاً جيد التوصيل لكلمة الله ، ولنعمة الله ، ولبركة الله ، وللسلام الممنوح من الله •••

كان انساناً يأخذ من الله ، ويعطي للناس ، نفس القوة ••

لقد فرحت السموات ، لما وجدت على الأرض هـذه الآنية المختارة ، التي تستطيع أن تحمل نعمة الله للناس ، وفي نفس الوقت تحتفظ ببساطتها وهدوئها، دون أن ترتفع ، ودون أن تنتفخ ••

ولم تكن كلمات هـذا القديس فقط هي التي تفيض نعمة ، وانما كانت حياته أيضاً كذلك ، وكانت هكذا ملامحه •

كان كل انسان يرى الأنبا أنطونيوس ، يحب أن لا يفارقه • كان وجهه يفيض بركة ، وحديثه يفيض نعمة ، وحياته تفيض روحاً •• لذلك لا نعجب لتلميذه الذى قال له « يكفينى مجرد النظر الى وجهك يا أبى ••• » •

بالنسبة الى الله ، كان القديس أنطونيوس يأخذ باستمرار •••

وبالنسبة الى الناس ، كان هذا القديس يعطي باستمرار ، كسيده •••

ولقد أعطاه الله الكثير ، لما زهد كل شيء ، لأجله •••

أعطاه موهبة المعجزات والآيات والعجائب ، فكان يشفى المرضى ، وكان يخرج الشياطين ••• وكان الناس يقصدونه لا من أجل المعرفة الروحية فقط، والبركة ، وانما أيضاً لأجل معجزاته •

هل هذا يقارن بما تركه من مال أو جاه أو أهل ؟!

انه لما اغمض عينيه عن المال ، فتحهما الله للرؤى السمائية :

فكم من مرة رأى ملائكة ، وكم من مرة تحدث معهم ؟!

لقد ظهر له ملاك يشرح له كيف يصلى ويعمل ويقاوم الملل • والملاك هو الذى سلمه قلنسوة الرهبنة •••

وفي احدى المرات رآه تلاميذه ناظراً الى السماء وساهماً ، فعرفوا أنه رأى شيئاً ، فسألوه • فأخبرهم عن نياحة القديس الأنبا آمون أب جبل نتريا ، اذ رأى روحه يزفها الملائكة بالتهليل الى السماء •

طوباك أيها القديس الأنبا أنطونيوس، ان عينيك اللتين رفضتا أن تنظرا

الى المال ، وهو ملقى على الرمال ، صارتا تنظران الملائكة وأرواح القديسين ، أيها البار المفتوح العينين ··· وماذا أيضا ؟

قال القديس الأنبا أنطونيوس : أبصرت مرة فخاخ الشيطان مبسوطة على الأرض ، فالقيت نفسى أمام الله وقلت « يا رب ، من يفلت منها ؟ » · فأتانى الصوت من السماء « المتواضعون يفلتون منها » ···

طوبى لهاتين الأذنين اللتين أغلقتهما أمام أغانى العالم وطربه وأحاديثه ، فاستحقتا أن تسمعا صوت الله في هذه المناسبة وغيرها، وأن تسمعا تهليل الملائكة وهم يحملون روح الأنبا آمون ···

حقا ، كلما نترك شيئا لأجل الله ، ناخذ اضعافا ، وبنوعية افضل ، « ليس بكيل يعطى الروح » (يو ٣ : ٢٤) انه يعطى بلا حدود ··

ان الذى ترفض من أجله خزائن العالم ، يفتح أمامك خزائن السماء والمواهب الروحية ،كما حدث للقديس الأنبا انطونيوس ، الذى ترينا حياته ، مقدار عمل الله في النفس البشرية ···

لقد ترك الزواج والنسل الجسدى ، انظروا عدد وحلاوة اولاده :

من أولاده القديس مقاريوس أبو الاسقيط ، والقديس الأنبا آمون أب جبل نتريا ، والقديس ببنوده رئيس أديرة الفيوم ، والقديس ايلاريون مؤسس الرهبنة في سوريا وفلسطين · ومن أولاده الأنبا بولس البسيط ، والأنبا بيساريون ، والأنبا سرابيون ، والأنبا شيشوى ··· وكثيرون ···

حقا « ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد » وسعى خيامك · لأن أولادك يصيرون أكثر من ذات البعل ··· (أش ٥٤ : ١) ·

اننى لا أستطيع أن أدخل في جزئيات ، وأقول ان الأنبا انطونيوس ترك من أجل الله مالا ، أو أرضا ، أو وقتا ، أو زواجا أو أولادا ···

انما هو أعطى الله الحياة كلها ، كذبيحة طاهرة قدامه · فاخذ الله هذه الحياة ، وقدسها وباركها وزودها بالمواهب ، واعطاها للعالم ·

عندما يقول الله « يا أبنى، أعطنى قلبك »(أم ٢٣ : ٢٦) ، هل تظنون أنه يريد أن يأخذ هذا القلب؟ كلا، بل هو يريد أن يملأ هذا القلب حبا وبركة وبرا · يريد أن يأخذ هذا القلب فيطهره من كل خطية، ويجعل روحه القدوس يسكن فيه ··· كمن يقول لك : « أعطنى جيبك الفارغ لأملأه خيرات » · أهو يأخذ أم يعطى ؟·

عندما تعطى الله قلبك ، انما تعطى فراغك ، والله يملا ···

تعطى ضعفك ، وتأخذ قوة الله · كمن يعطى المشور ، لتفتح له كوى السماء ، ويفيض الله عليه حتى يقول كفانا كفانا (ملا ٣ : ١٠) ·

تقدم لله ، اعطه ارادتك ، ليعطيها قوة ، ويرجعها اليك منتصرة ···

أتكون اذن تعطى أم تأخذ ؟!

الفصل السادس

القديس أنطونيوس ومحبة الوحدة والسكون

اننا لا نستطيع أن نتأمل حيـــاة الأنبا أنطونيوس في يوم عيده ، دون أن نتذكر حياة الوحــدة والسكون التي عاشها ، وثمار هــذه الوحدة في حياته وفي تعاليمه ...

لقد ذكر عنه القديس أثناسيوس الرسولى انه قضى ثلاثين ســـنة ، وقد أغلق على نفسه في وحــدة كاملة ، لا يرى فيها وجه انسان . في هذه الوحــدة اختبر ثمار الســـكون ، في خلوة كاملة مع الله . وأمكنه أن يفرغ ذهنـــه من تذكارات العالم وأخباره وتفاهاته ، لكي يملأ هذا الذهن بالله وحده ، فلا يفكر الا فيه .

وفي مذاقته لحلاوة السكون نصح أولاده فيما بعد، خوفا عليهم من أن يتبدد سكونهم خارج البرية ، فقال :

« الراهب في الدير كالسمكة في البحر ، لا تحيا خارج مياهه » ...

وحتى حينما عاش معه القديس الأنبا بولس البسيط بضع سنوات، يتتلمذ عليه ، ويحيا تحت ظل صلواته ، طلب اليه أن يدخــل الى البرية ويحيا وحــده « ليجرب حروب الشياطين » .

انه الدرس الأول الذى أخذه الأنبا أنطونيوس « ان كنت راهبا ، فادخــل الى البرية الجوانية » ... وكان هذا هو الدرس الذى يقال لكل راهب ، في أن يتعلم الهدوء :

« اجلس في قلايتك ، والقلاية ستعلمك كل شيء » ...

ان القديس الأنبا أنطونيوس هو الذى وضع أساس الرهبنة الأصـــيل . والنظام الذى وضعه هو الذى بقي أكثر من غيره ... أكثر من حيــاة الشركة التي كانت تعتمد على رئيس حازم قوى كالقديس باخوميوس مثـــلا ، يديرها بدقة وجــدية ، ويعاقب من يكسر قوانينها ... فاذا لم توجد هذه الرئاسة ، انتهى قيام الرهبنة تبعاً لذلك ... وهكذا انتهت كثير من أديرة باخوميوس .

أما القديس أنطونيوس فكان يبني الراهب من الداخل ، بمحبة الوحدة والسكون ، أكثر مما يبنيه بقوانين صارمة تحفظ طاعته ...

كان يبني قلب الراهب ، لا مجرد ارادته ... وتصرفه ..

كان يميت العالم داخل قلبه ، ولا يقتصر على اماتة التصرفات العالمية في سلوكه . وهذه الاماتة كانت تأتي أولا بالوحدة ، بالبعد عن الكل ، لحفظ العقل في السكون . وتأتي ثانيا بانشغال الفكر والقلب بالله في حياة السكون . ما أجمل قول مار اسحق :

« ان مجرد نظر القفر ، يميت من القلب الحركات العالمية » .

في البرية تربى موسى قبل عمله الرعوى أكثر مما « تهذب بكل حكمة المصريين » . والى البرية نقل الله أبانا ابرآم ، حيث تدرب على حياة الخيمة والمذبح ، أى الغربة والشركة مع الله . وفي البرية تدرب ايليا ، على جبل الكرمل . وفي البرية تدرب أيضاً يوحنا المعمدان ، أعظم من ولدته النساء . وربنا يسوع المسيح أيضاً أحب البرية والجبال ، وترك لنا في ذلك مثالا ، حتى كما كان يختلي في جبل الزيتون (يو ٨ : ١) ويقضى الليل في الصلاة ، نفعل نحن أيضاً ..

وهكذا عاش الأنبا أنطونيوس ، ليس أياما ، انما الحياة كلها ..

عاش بعيداً عن المدن ، وما فيها من صخب وضجيج وضوضاء ، وأيضاً بعيداً عما فيها من دوامة المشغوليات ، التى لا تعطى فرصة لجلوس الانسان مع نفسه أو جلوسه مع الله ..

حقاً ، لقد سألت نفسى مرة : لماذا خلق الله كل هذه الصحراوات ؟

هذه الصحراوات الواسعة ، وهذه الجبال والتلال، في كل قارة من القارات، تمثل الهدوء والوحدة ، بعيداً عن صخب المدن ...

أليس في كل هذا ايحاء ، يشير الى الناس بحياة الهدوء ؟!

وكان السيد المسيح يأخذ تلاميذه الى موضع قفر ، حتى تتركز حواسهم في كلامه ، ولا تنشغل بالمناظر والأفكار ...

ان كل انسان في الدنيا ، مهما تعمق في الحياة الروحية ... هو محتاج الى فترات هدوء ،يجلس فيها الى الله ، والى نفسه ..

يهدأ بعيداً عن المشغوليات ، وبعيداً عما تجلبه الحواس من أفكار ... وفي هدوء يأخذ من الله، وأيضاً يفحص ذاته، ويأخذ من أعماق أعماقه ، حيث يسكن الله أيضاً .

هذا هو أول ما يجذبنا ، في الحياة العميقة التى عاشها قديسنا :

وحياة السكون هذه ، لها دلالتها الروحية الكثيرة :

فليس كل انسان يستطيع أن يحيا حياة السكون في البرية • وان استطاع ذلك بضعة أيام أو أسابيع ، فلا يستطيع أن يحيا في البرية العمر كله ، الا ان كانت له دوافع روحية راسخة ، كما كان للقديس أنطونيوس • فما هى هـذه والدوافع ؟

أول صفة تستلزمها حياة البرية ، هى الزهد :

ان الذى يحب العالم ، تجذبه أمور العالم، فلا يستطيع أن يبقى في البرية اذ يشتاق الى ما تركه في العـالم من أمور محببة الى نفسه • وكما قال الكتاب « حيثما يكون كنزك ، فهنـاك يكون قلبك » (مت ٦ : ٢١) • انما يحيا في البرية ، الانسان الذى مات قلبه عن العالم موتاً حقيقياً • بمقدار ما يكون قلبه مائتاً عن العالم ، هكذا يكون ثباته في البرية أيضاً •

اذن الموت عن العالم ، يسبق بالضرورة الحياة في البرية :

والقديس الأنبا أنطونيوس كان قلبه قد مات عن العـالم وكل رغباته : ترك الأهل والبلد والمال والجاه والعلم وكل شيء • ولم يعد يشـتهى شيئاً عالمياً ، لذلك اسـتطاع أن يسكن في مقبرة ، وأن يسكن في القفر ، وأن يحتمل الجوع والعطش والوحدة •••

كذلك السكنى في البرية تحتاج الى شجاعة قلب :

يصلح لها قلب لا يخاف ••• لا يخاف الوحدة، ولا الظلام ، ولاالوحوش والدبيب ، ولا الشياطين ••• وهكذا كان الأنبا أنطونيوس، لقد تعرض لحروب مخيفة جـداً • وكان الشـياطين يظهرون له في هيئة وحوش مفترسة، تصيح بأصوات مرعبة ، وتهجم عليه • ومع ذلك لم يخف، بل وقف صامداً أمامهم••• كذلك هاجموه لما كان في المقبرة، وضربوه ضرباً مبرحا جداً ، ولم يهتز اطلاقا• وفيما بعد أصبحت الشياطين هى التى تخاف الأنبا أنطونيوس، وأخذ قوة من الله على طرد الشياطين •••

هـذا هو الأنبا أنطونيوس رجل البرية ، وابن الجبال ، صـاحب القلب القوى الذى لا يخاف ، الذى عاش في الجبال وحده عشرات السنوات ، لا يؤنسه سوى الله •

السكنى في البرية أيضايلزمها انسان يعرف كيف يقضى وقته حسنا، بحيث لا يمل من فراغ يحيط به •••

فالوحدة ليست مجرد عمل سلبى ، هو البعد عن العـــالم ، أو الموت عن العالم ، انما هى عمل ايجابى في الحيـــاة مع الله والالتصاق به ، ومذاقة حلاوته والعشرة معه • وهذا هو الهدف الأساسى من الوحدة ، التى تعتبر مجرد وسـيلة للالتصاق بالله• وان كانت الوحدة هى الانحلال من الكل، فان مار اسحق يقول :

« الانحلال من الكل ، للارتباط بالواحد ••• »

والأنبا أنطونيوس عاش حيـاة الصلاة وحياة التأمل ، منشـغلا بالله كل وقته ، فكراً وقلباً، فلم يمل ، ولم يعد محتاجاً الى عزاء بشرى يسليه• وصارت الوحدة بالنسبة اليه متعة روحية، بسبب العشرة الالهية التى شغلت حياته •••

ولم يمش وحده في البرية ، انما كان الله معه •
عرف أن « الحاجة الى واحد » ، ونجح في الارتباط بهذا الواحد •
ولما عاش في حياة السكون ، دخل السكون الى قلبه أيضا •
وكما قال مار اسحق « بسكون الجسد ، نقتنى سكون النفس » •

هدأت حواسه ، وهدأت افكاره ، وهدأ قلبه من الداخل ، وهدأت ملامحه أيضا ، وصار مصدراً للسلام لكل من يتصل به • وفيه أحب الناس هذه الحياة الهادئة الساكنة المملوءة بالسلام •

بمرور الوقت زالت من فكره كل التذكارات القديمة التى عاشها في العالم، وأخذت نقاوة فكره تنمو شيئاً فشيئاً ، حتى لم يعد في فكره سوى الله وحـده • أمحت من ذهنه كل العالميات ، اذ لا اسـتعمال ، ولا جديد يضاف اليها ، بل لا جديد سوى الأمور الالهية التى رسخت في ذهنه ، وملكته كله •

وفيما بعد ، حينما سـمح أن يكون له تلاميذ ، وزوار ، لم يكن يكلمهم الا عن الله وحياة الروح • فصارت حياته كلها مركزة في الله ، فكراً ، وشعوراً وكلاماً ••• ومات العالم من حوله •

استطاع أن يحول الأرض التى عاش فيها الى سماء ، وأن يحول أبنـاءه الرهبان الى ملائكة ارضيين أو بشر سمائيين •

أما أنتم يا اخوتى ، فان كنتم لا تسـتطيعون أن تسكنوا الجبال •• **فعلى الأقل لا تحرموا أنفسكم من الخلوة والسكون على قدر طاقتكم •**

ولو بضـعة أيام كل سنة ، أو يوماً كل أسبوع ،أو ساعة كل يوم ، أو بضعة دقائق كل ساعة •••

انفضوا ضجيج العالم من آذانكم ، وغوصوا داخل أنفسكم ، واكتشفوا في أية الطرق أنتم سائرون ، وماذا ينبغى على كل منكم أن يفعل ••• واجلسوا مع الله ، وخذوا منه معونة •••

ولا تجعلوا الفترة تطول بكم وسط ضجيج العالم • حيثما استطعتم أن تنسحبوا من هذا الضجيج ، انسحبوا بسرعة ••

وان لم تستطيعوا أن تنسحبوا منه موضعيا ، فعلى الأقل انسحبوا منه موضوعيا ••• فلا تشتركوا في أعماله وأحاديثه •••

كونوا كغرباء في الموضع الذى لا يناسبكم حديثه • لا تشتركوا في الكلام، ان لم يمكنكم تغيير دفته • وفيما أنتم صامتون ، اسرحوا بأفكاركم في الله وملكوته ، دون أن يشعر أحد •

وهكذا تحتفظون بقلوبكم مع الله ، سواء كنتم في خلوة أو مع الناس ، كما قال عن ذلك (الشاعر) :

كنت في مجتمع أو خلوة   أنا وحدى ، يستوى الأمران عندى
لى طريق مفرد أحببته   عشت فيه طول هذا العمر وحدى

المهم أن محبة السكون تكون في القلب ، وكاحدى نتائجها تتكون الرغبة في الاختلاء بالله ، حتى وسط مشغوليات المجتمع •

ونصيحتى أنكم لا تأخذون امور العالم بعمق •••

لا تجعلوها تدخل الى أعماق مشاعركم والى أعماق تفكيركم •

ولا تجعلوا أمور العالم تستقر في عمق اهتمامكم ، بحيث تستولى على ذهنكم ، ويطيش فيها فكركم وقت الصلاة •••!

وفي محبتكم للوحدة ، لا تنفروا من الناس ومحبتهم ، بل انفروا من الأخطاء ••• لأن هناك فرقا بين الوحدة والانطواء •••

والقديس الأنبا أنطونيوس كانت حياته حباً للوحدة ، حباً في الله ، ولم تكن انطواء ولا كراهية للناس أو عجزاً في معاملتهم فكلما سنحت الفرصة، كان يفيض حباً على الناس ، وكانت معاملاته تتميز بالطيبة والوداعة واللطف •••

★ ★ ★

الفصل السابع

القديس أنطونيوس ، ومحبة الله

لما ملكت محبة الله على قلب القديس أنطونيوس ، انتزع الخوف تماماً من قلبه ... حتى من الله نفسه ، ما عاد يخاف ...

واستطاع أن يقول لتلاميذه ، تلك العبارة المشهورة عنه :
« **يا أولادى ، أنا لا أخاف الله ...** » .

فلما تعجبوا قائلين « هذا الكلام صعب ياأبانا » ... أجابهم « ذلك لأننى أحبه . والمحبة تطرح الخوف الى خارج » (١ يو ٤ : ١٨) .

حقاً ، ان الحياة الروحية يمكن أن تبدأ بمخافة الله ، كما قال الكتاب « بدء الحكمة مخافة الله » (أم ٩ : ١٠) . وبالمخافة ينفذ الانسان الوصايا . ولكنه اذ يمارس الحياة الروحية ، يجد فيها لذة ومتعة ، فتزول المخافة ويبقى الحب . وكلما نما الانسان في محبته لله ولوصاياه، حينئذ « المحبة الكاملة تطرح الخوف الى خارج » .

والقديس الأنبا انطونيوس ، عاش في هذه المحبة : بدأ بها ، فدفعته الى الوحدة ثم نما فيها ، حتى وصل الى قممها ..

لولا محبته لله ، ما استطاع أن يحيا في الوحدة فمحبة الله احدى الصفات الجوهرية التى ينبغى أن يتميز بها من يطلب الوحدة . وكما نقول في صلاة القسمة عن آبائنا السواح والمتوحدين « وسكنوا في الجبال والبرارى وشقوق الأرض ، من أجل عظم محبتهم للملك المسيح » . هذه المحبة هى التى دفعتهم الى سكنى الجبال ، لكى يتفرغوا لعشرة الرب الذى أحبوه ..

من أجل هذه المحبة ، ترك القديس كل شىء ، لأن الله عنده هو أثمن وأغلى من كل شىء ، ومن كل أحد . ولأن محبة الله تشبع القلب ، فلا يحتاج الى محبة أخرى تسنده أو تعزيه .

محبة الله هى الدافع الى الوحدة ، وهى الدافع الى الصلاة :

أحب القديس الله . ومن محبته له انفرد به ، وأصبح لا يستطيع أن يفارقه ، ولا يستطيع أن ينشغل عنه بشخص آخر . وكما قال الشيخ الروحانى

في ذلك « محبة الله غربتني عن البشر وعن البشريات » • ومن محبته له ، وجد متعة روحية في مخاطبته والتحدث اليه ، كما يقول داود النبى « محبوب هو اسمك يا رب ، فهو طول النهار تلاوتى » ، وكما نقول في التسبحة « اسمك حلو ومبارك ، في أفواه قديسيك » •

ان عمق الرهبنة هو في معناها الايجابى : الالتصاق بالله • أما معناها السلبى : البعد عن العالم ، فهو مجرد وسيلة ••

ما أحلى قول داود النبى « أما أنا فخير لى الالتصاق بالرب » (مز ٧٣)• وكيف يلتصق الانسان بالرب ، ان كان بكل مشاعره وفكره منشغلا بالعالم وما فيه ؟!•••

ومحبة الله ، كما قادت للوحدة والصلاة ، قادت الى الزهد :

لأن الشخص الذى يذوق الله وحلاوة محبته ، يبدو كل شيء آخر تافها أمامه • وأمام حلاوة الله ، يفقد كل شيء آخر قيمته ، ويصبح باطلا وقبض الريح ••وكما قال بولس الرسول« خسرت كل الأشياء ، وأنا أحسبها نفاية•• لأربح المسيح » (في ٣) • وهنا نجد الزهد ليس مجرد عمل تغصب ، يغصب فيها الانسان نفسه على ترك مقتنيات العالم وملاذه من أجل الله ، انما هو اقتناع عميق بتفاهة كل شيء • وهذا الاقتناع نتيجة لمحبة القلب لله ••

وهكذا يرى الانسان أن كل متع العالم لا تشبعه ، فيزهدها ، لأن قلبه قد انفتح على محبة أكبر ، وأعمق، وأسمى ، هى محبة الله ، التى تضاءل أمامها كل شيء آخر •

ومن الناحية المضادة ، ان ملكت محبة العالم على قلب انسان، نزعت منه محبة الله • ولذلك يقول الرسول ان « محبة العالم عداوة لله » •••

ونحن نسأل أنفسنا : كيف استطاع القديس أنطونيوس ، أن يسكن وحده في تلك المغارة البعيدة ؟ وكيف احتمل البعد عن كل عزاء بشرى ؟ وكيف وجد شبعه في الوحدة ؟•

الجواب هو أنه كان شبعاناً بمحبة الله ، فلم يعوزه شيء •

الوحدة بالنسبة اليه ، لم تكن وحدة مطلقا ، وانما كانت في حقيقتها عشرة مع الله ، ومع ملائكته •••

عشرة ألذ من عشرة البشر ، ومن المجتمعات البشرية •

وعشرته مع الله جعلت المحبة تنمو في قلبه ، فحينما كان يلتقى بالناس ،

كان يلتقى بهم في حب· وكانت معاملاته لتلاميذه مشبعة بروح الاتضاع والود، من ثمار الحب الذى فيه ·

وهكذا لم تكن وحدته انطواء ، وانما حبا ···

ومع محبته للقديس بولس البسيط ، طلب اليه أن يسكن وحده، لفائدته الروحية · لأنه كان يحبه حباً روحياً ، يدفعه الى أن ينمى محبة التلميذ لله ، ولو فارقه ··· انها محبة لا تلصقه به شخصياً ، انما تلصقه بالله ، الذى يحب المعلم والتلميذ كليهما معاً ، أنطونيوس العظيم وبولس البسيط ··



مديحة للأنبا أنطونيوس

للبابا شنوده الثالث (يناير ١٩٦٢)

(حينما كان اسمه : الراهب أنطونيوس السريانى)

١ ـ في كنيسة الأبكار — في مجمع الأطهار
قائم بكل وقار — بنيوت آفا أنطونيوس

٢ ـ قائم بمجد عظيم — مع لباس الأسكيم
في طقس السارافيم — بنيوت آفا أنطونيوس

٣ ـ بصلاة روحانية — بحياة الهية
دشنت البرية — بنيوت آفا أنطونيوس

٤ ـ بجهاد في الصلوات — عشرات السنوات
بدموع في المطانيات — بنيوت آفا أنطونيوس

٥ ـ بنسك في الأصوام — على مدى الأيام
بنفس لا تنام — بنيوت آفا أنطونيوس

٦ ـ بزهد في اللذات — بهذيذ في الالهيات
وتأمل في الروحيات — بنيوت آفا أنطونيوس

٧ ـ أعطيت روح ايليا — وحنة النبية
ويوحنا بن زكريا — بنيوت آفا أنطونيوس

٨ ـ ارتاع الشياطين — من قلبك الأمين
وصلاتك كل حين — بنيوت آفا أنطونيوس

٩ ـ حاربوك مدة طويلة　　بذلوا كل وسيلة
بكم حيلة وحيلة　　بنيوت آفا أنطونيوس

١٠ ـ بأختك ذكروك　　لكيما يقلقوك
بهذا ويرجعوك　　بنيوت آفا أنطونيوس

١١ ـ نثروا الذهب والمال　　أمامك على الجبال
يضوى بين الرمال　　بنيوت آفا أنطونيوس

١٢ ـ أتوك بطرب وغناء　　وصور النساء
لتسقط في الاغراء　　بنيوت آفا أنطونيوس

١٣ ـ وأتوك بشكل أسود　　ونمور وفهود
بصياح كالرعود　　بنيوت آفا أنطونيوس

١٤ ـ جاءوك بآذاهم　　لتخاف من رؤياهم
تواضعك أخزاهم　　بنيوت آفا أنطونيوس

١٥ ـ صرخت يا أقوياء　　لماذا هذا العناء
تراب أنا وهباء　　بنيوت آفا أنطونيوس

١٦ ـ عجبي لتجمهركم　　على ضعفى وتظاهركم
أنا أضعف من أصغركم　　بنيوت آفا أنطونيوس

١٧ ـ يا برج عالي وحصين　　يا مثال للمنسحقين
تتواضع للشياطين ؟!　　بنيوت آفا أنطونيوس

١٨ ـ يا قوة ومثال　　على مدى الأجيال
يا ساكن الجبال　　بنيوت آفا أنطونيوس

١٩ ـ يا مثال للبتولية　　والقوة الروحية
وهدوء البرية　　بنيوت آفا أنطونيوس

٢٠ ـ كرائحة بخور　　كأنغام المزمور
حياتك نور من نور　　بنيوت آفا أنطونيوس

٢١ ـ يا عظيم في جهادك　　يا حكيم في ارشادك
اشفع في أولادك　　بنيوت آفا أنطونيوس

٢٢ ـ لم نحى كحياتك　　لم نسلك في صفاتك
فاذكرنا في صلاتك　　بنيوت آفا أنطونيوس

٢٣ ـ اشفع في مذلتنا　　وضعف طبيعتنا
في مدة غربتنا　　بنيوت آفا أنطونيوس

فهرست

صفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٠/٤٢٠٦ .



باسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين

إن سير القديسين ليست مجرد تاريخ،
ولا مجرد وقائع وأحداث..

إنها مشاعر، ومشاعل..

إنها شركة أناس مع الروح القدس في
كل ما يحيط بهم،

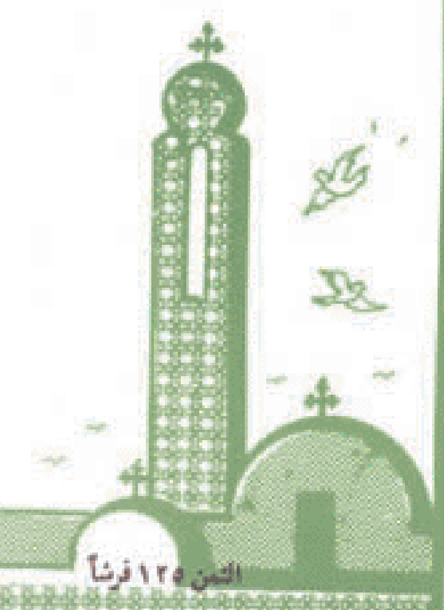
إنها عمل النعمة في قلوب،
سلمت إرادتها لعمل النعمة..

وفي هذا الكتاب، تحاول هذه
الصفحات أن تقترب من قدس أقداس،
هو قلب الأنبا أنطونيوس..

نقترب من حياته، لننتفع حياتنا..

فليت روحه تشفع، لننال قوة،
نتحدث به عن روحه..

شنوده الثالث



الثمن ١٢٥ قرشاً